قومية بلا عنوان

أسباب عدم قيام دولة كوردية من حركة الشيخ عبيد الله النهري حتى نهاية مشكلة الموصل ١٨٨٠-١٩٢٥

تأليف

هۆگر طاهر توفيق

أربيل - ٢٠٠٦

أسم الكتاب: قومية بلا عنوان

- تأليف: هۆگر طاهر توفيق
- التصميم الداخلي: هەردى
- تصميم الغلاف: ريّبين
- مشرف الطبع: هيمن نجاة
- رقم الايداع: (٨٧١)
- عدد النسخ: ١٠٠٠
- الطبعة الاولى ٢٠٠٦
- السعر : ١٥٠٠ دينار
- المطبعة: مطبعة وزارة التربية- أربيل

تسلسل الكتاب (١١)

مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر
www.mukiryani.com
asokareem@ maktoob.com
Tel: ٢٢٦٠٣١١

الإهداء

إلى والديَّ اعترافاً بجميلِهما

أهدي هذا الكتاب

هوگر

الفهرست

المقـــدمة..... ٦

المدخـل..... ١٠

أولاً- الأسباب الذاتية: ٣٢

١- فقدان التخطيط والتنظيم لدى الحركات الكوردية: ٣٢

٢- ضعف الإخلاص، ثم الإخلاص لمن؟ ٣٧

٣-الإفراط في تقديس القادة:..... ٤٣

٤- البنية الإجتماعية والإقتصادية والثقافية الكوردية المتخلفة: ٤٧

ثانياً: الأسباب الموضوعية (الموقعية). ٥٠

١- الموقع الجيوبوليتكي لكوردستان:..... ٥٢

٢- جبال كوردستان: ٥٩

٣-الأرمن: ٦٣

ثالثاً- صراع القوى العظمى على الشرق الأوسط وكوردستان..... ٧٠

الخاتمـــة..... ٨٥

قائمة المصادر والمراجع ٨٨

المقـــــــدمة

لكل دراسة أو موضوع بحث اسم يعبر عنه أو عمّا في داخله أو يمثله، والذي يعد تعريفاً أولياً والبداية التي تبدأ منه. وقد اختير اسم (قومية بلا عنوان أو أسباب عدم قيام دولة كوردية من حركة الشيخ عبيد الله النهري حتى نهاية مشكلة الموصل ١٨٨٠-١٩٢٥) عنواناً لهذه الدراسة، والقصد هنا من الاسم الأول للموضوع (قومية بلا عنوان) هو عدم امتلاك هذه القومية لحدود أو أُطر سياسية معترفة به دولياً للتعبير عن ماهيتهم. ويتم تعريف أبنائهم على حساب قوميات ودول أخرى تجنسوا بها رغماً عنهم كالتركية والإيرانية والعراقية والسورية، ولم يتجنسوا بجنسيتهم الأصلية وهي (الكوردية) وأكثر من هذا لا يملكون شعاراً أو علماً دولياً يمثلهم في جامعة العالم للأمم، وان قومية بهذا الحجم وصاحب هذه الأراضي الواسعة في الشرق الأوسط،بشهادة التاريخ الذي كتب اغلبه أبناء القوميات الأخرى ليس لديه أداة تعريف خاصة به. هذا إذا ما علمنا بأن أصول وأسس الفكرة القومية تنطبق عليهم بالمعنى الشامل.كما سيتبين من شرح الموضوع لاحقاً.

تنبع أهمية الموضوع في أنه يبحث في أسباب عدم قيام دولة كوردية من حركة الشيخ عبيد الله النهري ١٨٨٠ وحتى نهاية مشكلة الموصل ١٩٢٥، الفترة الحساسة بالنسبة لشعوب العالم وخاصة للكورد الذين أضاعوا فرصة تأسيس دولة في ارض هي لهم منذ إن وجد الإنسان في هذه المنطقة.

لقد تم وضع هذه الدراسة في أُطر زمنية، كما بيّن أعلاه، ولكن في مرات عدة ولمتطلبات الموضوع، بغية فهمه بشكل أفضل تم الرجوع إلى ما قبل ١٨٨٠ وما بعد ١٩٢٥ لان التاريخ وحدة متماسكة ولا يمكن تجزئته، فمثلاً بعض أسباب انهيار حركة الشيخ عبيد الله النهري هي متجذرة في الشعب الكوردي وتعود

حتماً إلى ما قبل هذا التاريخ.

تناول المؤرخون الكورد وغيرهم هذه المسألة كل حسب موضوعه التاريخي والفترة التي يبحث فيها،ولا يوجد كاتب بحث هذه القضية بشكل مستقبل في الفترة موضوع الدراسة، حسب علمنا. وهناك من المؤرخين والباحثين من ركز على سبب دون غيره، وآخر من وجه إصبع الاتهام إلى جهة معينة دون أخرى إلا انه عند دراسة تاريخ الكورد في هذه المرحلة يظهر بأنه من المجحف توجيه الاتهام إلى جهة دون أخرى في عدم قيام دولة كوردية مستقلة، فهناك جملة أسباب تقف وراء ذلك تبدأ من الكورد أنفسهم لتمر بموقعهم الجغرافي والشعوب المجاورة حتى تنتهي إلى القوى العظمى التي كانت ذات نفوذ عالمي آنذاك،كل هذه الأسباب إذا ما جمعناها ستُكون لنا صورة واحدة ستوضح الأمر أكثر في فهم أسباب عدم تأسيس دولة كوردية، والتي مازال بعضها موجوداً لحد الآن .

ولابد من التذكير هنا بأنه وعند شرح احدى الموضوعات، ضمن هذه الدراسة، وخاصة منها الأسباب المتعلقة بالكورد تم الاستشهاد بمثاليين لا أكثر وذلك لعدم تطويل الموضوع من جهة، ولان هذين المثاليين يوضحان هدف الموضوع الذي بحث من اجله من جهة أخرى. لذلك لم تكن هناك حاجة إلى المزيد منها والتي هي معروفة لدى دارس تاريخ الكورد ويمكن الرجوع إليها، ثم انه ولعدم إثقال الهوامش بالمعلومات التي لا تتعلق بالموضوع ولتقصير المتن هناك إحالات كثيرة في الحواشي السفلى لمن أراد الاستزادة منها لكي لا تتبعثر فكرة الموضوع. فضلاً عن ذلك فقد تم في مواضع عدة من هذه الدراسة اقتباس بعض النصوص الطويلة سواء أكان ذلك من بعض المصادر التاريخية أم من الصحافة الكوردية في عهدها الأول، وذلك لتقريب الصورة بشكلها الحقيقي والكامل قدر المستطاع وللإطلاع على مشاكل الكورد وأفكارهم التي كتبها هؤلاء عنهم آنذاك ولمعرفة هذه الأسباب – أسباب عدم تأسيس دولة كوردية-بصورة أوضح.

تم تقسيم الموضوع، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، إلى مدخل وثلاثة محاور كل محور تناول جزءاً من هذه الأسباب.تطرق المدخل إلى الفكرة القومية الحديثة وكيف تنطبق على الكورد كقومية، فضلاً عن بحثه في بعض الأمور التي أثرت في مستقبل الكورد في القرن التاسع عشر ومنها سقوط الإمارات الكوردية وانهيارها بحلول سنة ١٨٥١، وفقدان الأمن في كوردستان والدعاية المضادة لهم.

وبحث المحور الأول أهم الأسباب المتعلقة بالكورد أنفسهم والتي كانت سبباً في ضياع هذه الفرصة التاريخية من الكورد في قيام دولة لهم، ومنها ضعف التخطيط والتنظيم اللذين لازما حركاتهم، وعدم فهمهم للأبعاد المختلفة للفكرة القومية الحديثة. أما المحور الثاني فتطرق إلى الأسباب الموضوعية (الموقعية) المتعلقة بالموقع الجيوبوليتكي لكوردستان سواء ما يتعلق بتضاريسها أو جيرانها من الترك والفرس والعرب، أو الأرمن الذين تتداخلت أراضيهم مع أراضي الكورد كثيراً في كوردستان الشمالية ويعيشون معاً في مناطق عدة داخل كوردستان. وأخيراً درس المحور الثالث صراع القوى العظمى على منطقة الشرق الأوسط وتأثيرها في مستقبل الكورد والى أي حد كانوا في صلب الأسباب المتعلقة بعدم تأسيس الكورد لدولتهم.

وفيما يخص المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة فهي متنوعة ما بين: كتب ورسائل واطاريح جامعية وصحافة كوردية. ولابد من التوقف عند بعضها لأنها أغنت الموضوع ولم يكن بالامكان الاستغناء عنها، منها على سبيل المثال: مذكرات زنار سلوبي (مسألة كوردستان) والتي تعد من أفضل المذكرات التي كتبها كورديٌ شارك في أحداث تلك المدة، حتى انه أشار في مذكراته إلى أمور هي صغيرة في نظر البعض ولا تحتاج إلى كتابتها، ولكن بنظره كانت مهمة وهي فعلاً كانت كذلك . وكذا كتاب (الصراع على كوردستان) لمؤلفه خالفين وكتاب (كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى) لمؤلفه كمال مظهر احمد واللذين يعدان من أفضل من بحثا في تغلغل الدول الكبرى في كوردستان خلال

القرن التاسع عشر. فضلاً عن كتاب (تاريخ الأكراد الحديث) لديڤيد مكدول، وكتاب (المسألة الكردية في العلاقات التركية الإيرانية) لروبرت اولسن، وكتاب (دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة) لعثمان علي، و(يقظة الكرد) لمؤلفه جرجيس فتح الله، وتعد هذه الكتب من بين أفضل الكتب التي تناولت تاريخ الكورد الحديث تفصيلاً وتحليلاً، وعبر مؤلفوها فيها عن فكر عالٍ وقلم قوي عند التطرق إلى أحداث التاريخ الكوردي. ولا يعني هذا بأن الكتب والمقالات الصحفية التي تناولتها الدراسة واستفادت منها هي بأقل شأن مما ذكر سابقاً، إلا انه حسب نوع الدراسة كانت الاستفادة من تلك المصادر أكثر، وقد ثبت جميعها في قائمة المصادر والمراجع نهاية الكتاب.

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أن الباب مفتوح فيمن يرى بأن هناك أسباباً أخرى وراء عدم تأسيس الكورد لدولتهم، أو من يرى بأن هذا السبب أقوى من هذا أو ذاك. المهم في الأمر هو الوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع للاعتبار والإفادة منه مستقبلاً.

وختاماً لا بد من توجيه الشكر إلى كل الذين ساعدوني في إخراج هذا المؤلف، واخص بالذكر عائلتي التي ساندتني في إتمامه، وبيار مصطفى وفرهاد حاجي عبوش لمساعدتهما لي بخصوص المصادر، والدكتور صباح شنگالى لمراجعته اللغوية للكتاب، وأختي هاڤين التي عملت على تنضيده، فلهم مني جزيل الشكر.

ومن الله التوفيق

المدخـــل

تعد المدة الممتدة من ١٨٨٠ إلى ١٩٢٥ من أحرج سنوات تاريخ الكورد الحديث و المعاصر على السواء أي: من ثورة الشيخ عبيد الله النهري التي اجمع المؤرخون و الباحثون على أنها تمثل البداية الحقيقة لظهور الفكرة القومية الحديثة في تاريخ حركات التحرر الكوردي (١) إلى نهاية مشكلة الموصل والتي حسمت بها جنوب كوردستان أو ما كان يعرف آنذاك بـ (ولاية الموصل) لصالح الدولة العراقية الحديثة التكوين المدعومة بريطانياً (٢).

أما لماذا كانت هذه السنوات فترة حرجة بالنسبة للكورد باعتبارهم قومية مستقلة و ذلك لأنه كان باستطاعة الكورد تشكيل كيان أو دولة مستقلة بهم على جزء من أراضيهم، أو تشمل جميع كوردستان لو كان الوعي القومي الكوردي في المستوى المطلوب آنذاك . والتي حددت مستقبلهم السياسي فقد كان الكورد في تلك المدة أقوى من الظروف الإقليمية وكذلك من العامل الدولي، إذ كانت كوردستان تحكمها على ما هو معروف دولتان هما: الإمبراطورية العثمانية

(١) للتفاصيل عن حركة الشيخ عبيد الله النهري ١٨٨٠، ينظر مثلاً: جرجيس فتح الله، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيد الله النهري، ط٢، اربيل، ٢٠٠١، ص١٥ وما بعدها " عثمان علي، دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣- ١٩٤٦، تقديم: محمد هماوندي، اربيل،٢٠٠٣، ص٦٦- ١١٧.

(٢) للمزيد عن مشكلة الموصل، ينظر: جرجيس فتح الله، يقظة الكرد: تاريخ سياسي ١٩٠٠- ١٩٢٥ ومما يتناول النزاع على جنوب كردستان أمام عصبة الأمم مع الوثائق والمذكرات المتعلقة به، اربيل، ٢٠٠٢، ص٢٣٣- ٢٧٤ " بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وأثرها في كوردستان ١٩٢٣- ١٩٢٦، دهوك، ٢٠٠٤، ص١٥٩- ٢٣٠.

والدولة القاجارية (الإيرانية) اللتان وصلتا إلى مرحلة متقدمة من الضعف والوهن، فضلا عن ذلك فان القوى العظمى المتمثلة آنذاك بـ(بريطانيا، روسيا، فرنسا، وألمانيا) والتي كانت لديها مطامع في المنطقة لم تكن قد توضح بعد السياسة التي عليها إتباعها بخصوصها –كما سيتبين ذلك في المحور الثالث- ولكن بعد حل عصبة الأمم مشكلة الموصل ١٩٢٥ صار العاملان الإقليمي والدولي أقوى بكثير من الكورد وبعد ما كان الكورد منقسمين بين دولتين أصبحوا بعد سنة ١٩٢٥ منقسمين بين خمس دول هي: (تركيا، إيران،العراق، سوريا، وروسيا السوفيتية) بحيث تعقدت المسألة الكوردية إلى ابعد حد، والتي ما زالت خطوطها شائكة إلى الوقت الحاضر.

وبهذا الخصوص يتفق العديد من الباحثين و المؤرخين على أن فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل هي الأكثر حساسية بالنسبة إلى الكورد، و منهم على سبيل المثال (ديڤيد مكدول) الذي قال في مقدمة كتابه: (تاريخ الأكراد الحديث) بخصوص هذه الفترة ما يلي: "لقد أفردت مساحة كبيرة للسنوات ١٩١٨-١٩٢٥(يقصد في مؤلفه) والسبب في ذلك بسيط: ففي تلك الفترة القصيرة فقَدَ الأكراد فرصتهم الكبيرة في تشكيل الدولة، ووجدوا أنفسهم منقسمين كأقليات في نظام الدول الجديد التي حلت محل الإمبراطوريتين القاجارية و العثمانية" وكانت تلك لحظة حاسمة في تاريخ الشعب الكردي ...) (١). ومن ثمّ فقد تعقدت القضية الكوردية أكثر من ذي قبل بعد هذه الفترة و ضاعت فرصة سانحة في الاستقلال أو تكوين دولة كوردية آنذاك .

تعددت الأفكار والآراء حول الفكرة القومية الحديثة، التي أصبحت من أحد أهم مظاهر العصرين الحديث والمعاصر، وعلى أساسها ظهرت دول قومية في قارات أوربا وآسيا وأفريقيا متبنيةً في تشكيلها تطابق الوحدتين السياسية

(١) ينظر، مؤلفه: تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٣.

والقومية .كما اختلف الباحثون والمفكرون في مصطلحات: الأمة، القومية،العرق، والدولة، وتعددت تعريف ومفهوم كل منها(١). فبخصوص القومية، والذي هو الموضوع الرئيسي هنا، تعددت تعاريفها أيضا، فمثلاً يعرفها (ايرنست غيلنر) بأنها:"نظرية للشرعية السياسية تتطلب عدم تقاطع الحدود الاثنية مع الحدود السياسية"(٢). أما(أي ويسلي روهم) فيعرف القومية بأنها: "جماعة من الناس ترتبط معاً بتاريخ مشترك وأعراف مثُل مشتركة بغض النظر عن امتلاكها لحكومة خاصة بها"(٣). ويعرف المعجم الحديث للتحليل السياسي القومية بأنها: "عقيدة مستندة إلى أنّ الدول ينبغي أن تنظم قاعدة الجنسية ... و تعتمد القومية على عوامل من مثل: اللغة المشتركة، والتاريخ المشترك، والتجاور الإقليمي، والتشابه العرقي، والثقافة المشتركة ..." (٤). وعند الخوض في نظريات القومية يظهر بان المفكرين والباحثين الأوائل اختلفوا بشأنها أيضاً، فهناك من يقدم عامل العرق على أنّه أساس الفكرة القومية الحديثة وهناك من يقدم عامل اللغة ويجعل عاملي الأرض والتاريخ في المرتبة الثانية(٥).

المهم في الأمر- وعلى الرغم من هذا الاختلاف في مفهوم الفكرة القومية الحديثة واختلاف أشكاله من قارة إلى أخرى بل من دولة إلى دولة- هو أن اغلب المفكرين اتفقوا انه لابد من توافر أربعة عوامل أساسية لكل قومية تريد

(١) للتفاصيل عن هذه الآراء والتعاريف، ينظر: اريك هوبسباوم، الأمم والنزعة القومية، ترجمة: عدنان حسن،مراجعة وتحرير: مجيد الراضي، سوريا، ١٩٩٩، ص٢١ وما بعدها.

(٢) ينظر، مؤلفه: الأمم والقومية، ترجمة: مجيد الراضي، سوريا، ١٩٩٩، ص١٦.

(٣) نقلاً عن: صلاح سعد الله، المسألة القومية في العراق، دهوك، ٢٠٠٢، ص١٨.

(٤) جيفري روبرتس واليستر ادواردز، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجليي، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨٠- ٢٨١.

(٥) لقد تحدث اريك هوبسباوم بالتفصيل عن هؤلاء المفكرين واهم آرائهم، ينظر: المصدر السابق، ص٢١ وما بعدها.

الاستقلال بذاتها، و يمكن إطلاق قومية مستقلة عليها، وهي:

١- العرق أو الاثنية (الأصل الواحد): يعد هذا العامل أهم ركائز الفكرة القومية الحديثة، وهي انه لابد لكل قومية حسب هذا المفهوم أن تنتمي إلى اصل واحد ويشابه أفرادها نوعاً ما في المظهر الطبيعي ولهم العادات نفسها. وهناك من المفكرين من يقول بأن العرق وحده يكفي لتحديد أية قومية، ومنهم على سبيل المثال (د. غلا تر) الذي قال في هذا الشأن:" ان ليست اللغة بل العرق هو الذي يحدد القومية"(١). و تطرّف بعض السياسيين في الاندفاع وراء هذا العامل والتمسك به، وأبرزهم هتلر (١٩٣٣-١٩٤٥) فقد كان من احد أهم أهدافه بعد توليه السلطة في ألمانيا سنة ١٩٣٣ هو توحيد الجنس الألماني في أوربا ضمن دولة واحدة(٢).

٢- اللغة: تمثل اللغة من جانبها العامل الأهم في نظر بعض المفكرين في كونها تكفي لتحديد الهوية القومية، فهي جوهر ما يميز شعباً عن اخر ما يميز "نا" عن "هم"(٣). و من المفكرين الذين كانوا لهم باع كبير في أمر اللغة المفكر الألماني (هردر ١٧٤٢-١٨٠٣) فمن أقواله التي وردت في كتابه: (فلسفة أخرى في تاريخ البشرية) الذي ألفه سنة ١٧٧٤ عن اللغة قوله:" الطبيعة فرقت الشعوب بعضها عن بعض، ليس بواسطة الغابات والجبال والبحار والصحارى والأنهار... فحسب، بل فرقتها أيضاً، وبوجه اخص، بواسطة اللغات والميول والسجايا... إن اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به، وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب ... إن قلب الشعب ينبض في لغته ... إن روح الشعب تكمن في لغة

(١) نقلاً عن:المصدر نفسه، ص١٠١- ١٠٢.

(٢) هـ.أ.ل. فيشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩- ١٩٥٠)، ترجمة: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط٦، مصر، ١٩٧٢، ص٦٤٧.

(٣) اريك هوبسباوم، المصدر السابق، ص٥٦.

الآباء والأجداد ..." (١).كما ذكر (ريتشارد بوخ) بان اللغة هي المؤشر الكافي الوحيد على القومية(٢)، ومن هنا يتضح ويبرز مدى قوة وفاعلية هذا العامل في الفكرة القومية الحديثة .

وأخيراً هناك عاملا الأرض والتاريخ المشترك، فلا بد لكل قومية من ارض عاشت عليها لفترة طويلة من الزمن وبالتالي نشأت علاقة حميمة بين هذه الأرض والقومية التي تعيش عليها، بل وصل الأمر في مناطق ودول عدة أن أعطت القومية اسمها للأرض التي تعيش عليها مثل ألمانيا وكوردستان . أما عامل التاريخ والعادات المشتركة فهما يعدان من أهم نقاط التواصل بين أفراد هذه القومية أو تلك، بحيث يكون لهم تاريخ، وعلاقات اجتماعية واقتصادية مشتركة تميزهم من غيرهم من القوميات والأمم الأخرى.

والسؤال المطروح هنا هو: لماذا لم يتمكن الكورد من إنشاء دولة قومية خاصة بهم؟! إذا ما علمنا أن مفهوم فكرة القومية الحديثة تنطبق عليهم إلى ابعد حد: فهم ينتمون إلى اصل واحد(٣)، ولهم لغة مستقلة وارض استمدت اسمها قديماً من الكورد وهي كوردستان ولهم تاريخ طويل على هذه الأرض، ولا نبالغ إذا قلنا: إن الكورد والأرمن من أقدم شعوب المنطقة، وعددهم الآن — أي الكورد-

(١) نقلاً عن: ساطع الحصري، ما هي القومية ؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، ط٢، ١٩٨٥،ص٤٧.

(٢) اريك هوبسباوم، المصدر السابق، ص٢٨.

(٣) هناك دراسات عديدة أجريت على أصول الكورد وانتمائهم العرقي،ينظر مثلاً: ڤ. ف مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات: الأكراد أحفاد الميديين، ترجمة: معروف خەرنەدار، بيروت، ١٩٨٧، ص١٢٧- ١٤٠" محمد أمين زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: من أقدم العصور التاريخية حتى الان، ترجمة: محمد علي عوني، تقديم: كمال مظهر احمد، القسم الأول، ط٢، بغداد، ٢٠٠٥، ص٩٩- ١٤٧.

يربو على الثلاثين مليون نسمة، فهم تقريباً القومية الوحيدة بهذا الحجم في الوقت الحاضر لا تمتلك دولة خاصة بها.

وقبل الدخول في شرح أهم الأسباب التي حالت دون تأسيس دولة الكورد في تلك المدة، من الضروري إيضاح بعض الملاحظات سواء عن ظهور الفكرة القومية الحديثة أو عن الكورد قبل سنة ١٨٨٠ والتي أثرت بشكل مباشر في تاريخهم لاحقاً.

وأول هذه الأمور هي انه يجب أن لا يغيب عن البال أن الفكرة القومية الحديثة هي مُدينة بالدرجة الأولى إلى الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة ١٧٨٩ في فرنسا، فان اندلاع هذه الثورة ضد النظام الملكي فيها وما تبعتها من أحداث وقيام الجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩١ وبعد ذلك دخول فرنسا واروبا إلى العهد النابليوني ١٧٩٩- ١٨١٥، قد بذرت بذور هذه الفكرة في جميع أنحاء أوربا(١). وكما عبر عنها الإعلان الفرنسي للحقوق عام ١٨٩٥:"كل شعب مستقل وذو سيادة مهما يكن عدد الأفراد الذين يؤلفونه ومدى الأرض التي يشغلها هذه السيادة غير قابلة للتنازل" (٢). أي إن الفكرة القومية الحديثة كانت من ابرز نتائج الثورة الفرنسية والعهد النابليوني في أوربا والتي وجدت صداها في البلاد الألمانية وإيطالية، فكانت أحسن البيئات نشوءاً لفكرة القومية هي البلاد الألمانية، لان الألمان كانوا قد أحرزوا مكانة عالية جداً في ميادين العلم والأدب، ولكنهم ظلوا ضعفاءاً في ميدان السياسة، لانقسامهم إلى دول ودويلات عديدة.

(١) للتفاصيل عن الثورة الفرنسية ١٧٨٩ والعهد النابليوني، ينظر: هـ.أ.ل. فيشر، المصدر السابق، ص٥- ١١٥" ول وايريل ديورانت، عصر نابليون: تاريخ الحضارة الأوربية من ١٧٨٩- ١٨١٥، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الكتاب الأول حتى الرابع، بيروت، ٢٠٠٢، ص٤٣ وما بعدها.

(٢) اريك هوبسباوم، المصدر السابق، ص٢٦.

والنتائج الخطيرة التي قد تنجم عن مثل هذا الانقسام، قد ظهرت إلى العيان خلال الحروب النابليونية، فكانت من الطبيعي أن تنشأ الفكرة القومية، و تترعرع وتتقوى بسرعة كبيرة في البلاد الألمانية بعد النكبات التي توالت عليها خلال تلك الحروب. وكان من الطبيعي أن يدفع هذا الإيمان مفكري ألمانيا وساستها إلى مكافحة النزعات الإقليمية المتولدة من تعدد الدول الألمانية، بكل قوة و حماس(١). فان (فخته) مثلاً قد شبه الفكرة القومية في إحدى خطبه التي ألقاها سنة ١٨٠٨، بـ (صور اسرافيل) التي ستنقذ ألمانيا وأنها تحيي الأموات، وبهذه الصورة:"كانت ألمانيا عندئذ في حالة أشلاء تبعثرت عظامها في وادي الأموات، عظام فقدت كل الروابط التي كانت تربط بعضها ببعض، وتجردت عن كل ما كان يكسوها ويحركها من عضلات وأعصاب . ولكنها ستتجمع وتنتظم و تعود إلى الحياة بفضل الوعي القومي الذي سيعمل عمل (صور اسرافيل) يوم البعث والنشور"(٢)" ولهذه الأسباب نجد أن أهم الأبحاث والنظريات المتعلقة بقضايا القوميات قد نشأت في ألمانيا. كما أن معظم دعاة القومية وزعمائها في مختلف البلاد الأوربية قد تلقوا أولى دروس القومية من مفكري الأمة الألمانية وكتابها(٣). و يمكن القول هنا بأن الفكرة القومية انتشرت في العالم وخاصة في قارات أوربا وأفريقيا وآسيا بعد أن انتصرت في ألمانيا و ايطاليا وتكاملت وحدتهما القومية سنة ١٨٧١ ويقول (اريك هوبسباوم) بهذا الخصوص:"مما لا يكاد مفاجئاً إن النزعة القومية قد ترسخت بشكل سريع للغاية منذ سبعينات

(١)ساطع الحصري، المصدر السابق، ص١٢- ١٣.

(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٢١. للتفاصيل عن آراء فيخته في القومية، ينظر: ي.غ.فيخته، خطابات إلى الأمة الألمانية، ترجمة: سامي الجندي، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٢ وما بعدها" فرانجويس جاتيلت واوليفر دوهامل، تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة: خليل احمد خليل، بيروت، ١٩٨٤، ص١٥٠- ١٥٢.

(٣) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص١٣.

القرن التاسع عشر ١٨٧٠ وحتى عام ١٩١٤ "(١). فمثلاً ارتفع عدد الصحف القومية الايرلندية والتي تصف نفسها بالقومية أو ذات النزعة القومية من (١) في عام ١٨٧١ إلى (١٣)في عام ١٨٨١ إلى (٣٣) في عام ١٨٩١ وأصبحت متفجرة سياسياً في السياسة البريطانية(٢). و يضيف (اريك هوبسباوم) أيضاً بخصوص الفكرة القومية بأنه:"إذا كانت ثمة لحظة تاريخية انتصر فيها (مبدأ القومية) للقرن التاسع عشر فهي نهاية الحرب العالمية الأولى "(٣). وعلى هذا الأساس يظهر بان القرن التاسع عشر كان " عصر القوميات " بالنسبة للشعوب الأوربية وحدها. وأما القرن العشرين فصار " عصر القوميات " بالنسبة لسائر الشعوب بأجمعها (٤).

إذن من الجدير بالملاحظة هنا انه لا يجب البحث عن الفكرة القومية الحديثة داخل الحركات والانتفاضات الكوردية قبل عام ١٨٧١، فكيف نتحدث عن الفكرة القومية الحديثة في كوردستان و بين الكورد داخل الحركات التي اندلعت قبل ١٨٧١ و هي أصلاً لم تحقق هدفها في الدولتين الأوربيتين الباعثتين و الملهمتين لهذه الفكرة وهما ألمانيا وايطاليا. صحيح انه وجد بين الكورد شعراء ومفكرون حملوا هذه الفكرة في وقت اسبق بكثير من تاريخ الثورة الفرنسية وأبرزهم على الإطلاق (احمدى خانى ١٦٥٠ – ١٧٠٧) فقد جسد فكره القومي بأعلى صوره في ملحمته الشهيرة (مهم وزين)، و يقول عنه كوردوييف مثلاً:" لقد صور احمدى خانى هناك – أي في مهم وزين – صورة حياة الكورد واحدة واحدة، بشكل انسكلوبيدي . لقد صور لنا حقاً حياة شعبه: المشرد، الفقير، المقيد . لقد عبر في

(١) ينظر، مؤلفه:المصدر السابق،ص١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٥.

(٤) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص٢٥.

ملحمته بصفاء عن أفكاره وإيديولوجيته السياسية والطبقية "(١) . وذكر (عزالدين مصطفى رسول) بهذا الخصوص: " لم تكن القضية القومية وآمال الأمة الكوردية عند خانى بحلم شاعر وأمنية للتخلص من السيطرة العثمانية – الإيرانية، بقدر ما كانت رؤيا علمية للقضية تنسجم مع الواقع وإمكانيات العصر وتسبق الآخرين في التحليل، انطلاقاً من فكر نابغ ورؤية رائدة للمسالة الكوردية "(٢). و يمكن تشبيه خانى هنا كمن يغرد وحده في السرب، دون أن يفهمه من حوله ويستوعبوا أفكاره. و عند إلقاء نظرة إلى الحركات الكوردية في القرن التاسع عشر حتى ثورة الشيخ عبيد الله النهري يظهر بان هذه الحركات - وان كانت كوردية وقامت في ارض كوردية- لا يلمس فيها الفكرة القومية الحديثة، وأنها كانت بمثابة رد فعل لمحاولة السلطات العثمانية والإيرانية إنهاء حكم الإقطاعيات الكوردية الشبه مستقلة وأبرزها إمارتي سوران وبوتان إلا انه يمكن عد هذه الحركات-كما قال الباحث الكوردي (سيامند ز. عثمان)- كانت بمثابة رحم للحركة القومية الكوردية وليس ميلاداً لها (٣).

وتبين هذه الملاحظة انه لا يجب تحميل أية حركة أو شخصية كوردية - مهما كان- تبعات عدم تأسيس دولة كوردية، كمن يتهم مثلاً صلاح الدين الأيوبي بأنه لم يسعَ جاهداً إلى تأسيس دولة قومية للكورد آنذاك، مع العلم أن صلاح الدين الأيوبي جاء في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي وان الفكرة القومية الحديثة لم تكن قد قامت بعد في مهدها الأول أي في: ألمانيا وايطاليا، ثم إن هناك شخصية

(١) نقلاً عن: عز الدين مصطفى رسول، احمدى خانى ١٦٥٠- ١٧٠٧: شاعراً ومفكراً فيلسوفاً ومتصوفاً، بغداد، ١٩٧٩،ص٩.

(٢) ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص٩٥.

(٣) ينظر، بحثه: ملاحظات تاريخية حول نشأة الحركة القومية الكوردية، مجلة دراسات كوردية، العدد(١)، باريس، كانون الثاني ١٩٨٤، ص٢٢.

كوردية أخرى قد حكم أراضي وشعوباً ربما تبلغ في نسبتها ما حكمه صلاح الدين وهذا الشخص حديث العهد ونقصد به (كريم خان الزند) الذي حكم إيران ما بين سنوات (١٧٥٣ – ١٧٩٤) (١)، إلا انه لا يجب أبداً تحميل هؤلاء تبعات عدم تأسيس دولة الكورد، و يجب النظر إلى أحداث تلك المدة سواء في العهد الأيوبي أو الزندي بعيونهم، أي بمنظار ذلك الوقت و الزمان، وليس بعيوننا في الوقت الحاضر لنقترب من الحقيقة التاريخية كما هي .

ومن الأمور المهمة التي أثرت بشكل سلبي في تاريخ الكورد الحديث وفي منعهم من تأسيسهم لدولتهم هو قيام الدولتين العثمانية والإيرانية وبالأخص العثمانية بإنهاء حكم الإمارات الكوردية- التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي منذ حوالي القرن الخامس عشر الميلادي- في منتصف القرن التاسع عشر، فتحت الضغط الأوربي وإلحاح بعض أفراد الفئة الحاكمة في استانبول بالقيام بإصلاحات داخلية بعد التدهور السريع للدولة العثمانية منذ أواخر القرن الثامن عشر(٢)، كانت من أولى خطوات هذه الإصلاحات هي القضاء على الإنكشارية(٣) وتقوية

(١) للمزيد عن الحكومة الزندية الكوردية في إيران، ينظر: محمد أمين زكي، المصدر السابق، القسم الثاني، ص١٩- ٢٠؛ ڤ.ف مينورسكي، المصدر السابق، ص٤٥؛ نعمت شهاب حاجي، كوردستانى روژهەلات لە سەردەمى فەرمانرەوايى زەندييەكان: لێكولينەوەيەكى مێژوويى سياسى وئابورى (١٧٥١- ١٧٩٤)، نامەيەكى ماستەرە، بێشكەشە بو بەشىّ مێژوو، كوليژى ئاداب، زانكوى سەلاحەددين- هەولێر،٢٠٠٦، ل٩ ويا دويفدا.

(٢) للتفاصيل عن البدايات الأولى للإصلاح في الدولة العثمانية، ينظر: خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوربي: دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، بيروت، ١٩٨١،ص٥ وما بعدها " موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدا لحميد الثاني والخلافة الإسلامية،ط٩، بيروت، ١٩٩٩، ص٦٩- ٨٤.

(٣)إنكشارية: فرقة كان لها مركز ممتاز بين فرق الجيش العثماني. كانوا يختارون من الشبان المسيحيين الذين ترسلهم سنوياً المدن المسيحية الخاضعة للأتراك لخدمة السلطان. كانوا

مركزية البلاد وإنهاء حكم الإمارات الكوردية وأبرزها إمارات: (سوران، بوتان، بابان، بادينان، هكاري) والتي انتهت عهدها فعلياً بحلول سنة ١٨٥١ وذلك بسقوط آخر الإمارات الكوردية في الدولة العثمانية وهي الإمارة البابانية، ولو أن حكم هذه الإمارات امتد إلى بداية القرن العشرين لكان التاريخ الكوردي قد سلك منحى آخر، وذلك لأن العديد من الدول الأوربية ذي الفكرة القومية الحديثة قد مهدت لها هذه الإمارات الإقطاعية المتوارثة منذ العصور الوسطى، ويقول (اريك هوبسباوم) بهذا الصدد: " إن الدولة الحديثة المتميزة، التي اتخذت شكلها النظامي في عهد الثورة الفرنسية ... قد تم التمهيد لها بالإمارات الأوربية الناشئة في القرنين السادس عشر والسابع عشر..." (١). وانه لو كان للكورد مثل هذه الإمارات لأصبحت بعضها دون شك مراكز للفكرة القومية الكوردية الحديثة.

وأخيراً هناك ملاحظة لابد أن تأخذ بالحسبان في كونها من أحد الأسباب الرئيسية التي أثرت في المستقبل السياسي للكورد بشكل سلبي. وهي أن الفترة الممتدة من ١٨٥١-١٩١٨، قد شهدت فقدان الأمن بنسبة لكوردستان. وبدأت في هذه المدة وعلى دفعتين تشويه سمعة الكورد باعتبارهم قومية على المستوى العالمي، مارسه أولاً الرحالة والمبشرون والقنصليات الأجنبية من جهة والحكومة

=ينشأون على الولاء للسلطان، ومدربين عسكرياً. ظفرت فرق الإنكشارية في القرنين ١٧و ١٨ بسلطة كبيرة فكانت تنصب السلطان وتخلعه. أصبح التجنيد لها وراثياً في القرن السابع عشر. ثم توقف تدريجياً تجنيد المسيحيين. قضى السلطان محمود الثاني على فرق الإنكشارية في مذبحة جرت باستانبول سنة ١٨٢٦.ينظر: عبد الوهاب الكيالي، ماجد نعمة وآخرون، موسوعة السياسة، ج١، ط٣، بيروت، ١٩٩٠،ص٣٧٣"خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد.م. الارناؤوط، بيروت،٢٠٠٢،ص١٠١- ١٠٢

(١) المصدر السابق، ص٨٥.

العثمانية من جهة أخرى، أما المرحلة أو الدفعة الثانية من حملة تشويه سمعة الكورد عالمياً فمارسه الأرمن بامتياز - سنأتي إلى موضوع الأرمن لاحقا - ونكتفي هنا بإلقاء الضوء على المرحلة الأولى.

كانت كوردستان تنعم بالأمن والاستقرار في اغلب جهاتها التي وصل إليها حكم الأمارات الكوردية حتى سقوطها، وان كانت توجد مناطق غير آمنة في كوردستان آنذاك، فكانت بلا شك قليلة وغير مؤثرة في سمعة الكورد دولياً، وذلك لوجود أماكن مشابهة لدى جميع قوميات العالم، ولكن أن يعمم الأمر على امة بكاملها فهذا ما لا يقبله الواقع التاريخي والعقل المنصف. فأثناء حكم الإمارات الكوردية كانت الأوضاع الأمنية في كوردستان على ما يرام، خاصة في المناطق التابعة لهذه الإمارات، فعلى سبيل المثال يورد (جليلي جليل) رواية كتبها اداي شير(١) إثر محادثته مع احد الشيوخ الكورد المعاصرين لمير محمد الرواندوزي (٢)، و قال الشيخ لاداي شير: " كنت أسير ذات مرة من شقلاوة إلى رواندوز وعشرت في الطريق على صرة مليئة بالنقود وخوفاً من مير محمد لم أتجرأ حتى على لمسها. وكان في حوزتي سلة من الفواكه كنت احملها للأقرباء والأصدقاء في رواندوز ثم أضعتها في الطريق وعندما رجعت من رواندوز رأيت أن الصرة مع النقود ما تزال

(١) اداي شير: من مواليد بلدة شقلاوة التي تقع شمال اربيل، ويعد من اشهر من درس في معهد (ماريوحنا الحبيب) في الموصل، وله كتاب بعنوان (كلد واشور). ينظر: هەوراز سوار علي، نبذة تاريخية عن النشاط التبشيري في مدينة الموصل: أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجلة دهوك، العدد(١٩)، كانون الأول ٢٠٠٢،ص٩٩- ١٠٢.

(٢) ويقصد الأمير محمد باشا الرواندوزي الملقب بـ(ميرى كوره) أمير إمارة سوران في النصف الأول من القرن التاسع عشر. للمزيد، ينظر: جمال نەبەز، الأمير الكردي مير محمد الرواندوزي الملقب بـ(ميرى كوره)، ترجمة: فخري سلاحشور، ط٢، اربيل، ٢٠٠٣، ص١٩ وما بعدها.

موجودة في مكانها السابق وكذلك سلة الفواكه لم يجرؤ احد على أخذها. فسأله اداي شير بأنه كان بوسعه أن يأخذ الصرة دون أن يراه احد، ولكنه اجابه بجدية: ولكن كان من الممكن أن يراني احد رجال مير محمد كورا الموجودين قريباً في كمين، ولو أني لمست الصرة – لسوء الحظ – لأخذوني من كل بد إلى الباشا الذي كان سيصدر فوراً أمر إعدامي "(١). و يمكن ملاحظة هذا الأمر في جميع الإمارات الكوردية آنذاك و يأتي في المقدمة أيضاً إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان (١٨٢١- ١٨٤٧) وكيف انتشرت شهرته وعدالته في كوردستان وما جاورها، حتى أن العديد من الكورد والمسيحيين بدأو بالتوافد والهجرة إلى أراضي هذه الإمارة(٢).

إلا انه وبُعَيْدة انتهاء حكم هذه الإمارات في كوردستان انتشرت أعمال السلب والنهب وقطع الطرق في سائر أرجائها، وكان السبب الأساسي في ذلك يعود إلى عدم تمكن الدولة العثمانية من ملء هذا الفراغ الذي تركه زوال هذه الإمارات، فضلاً عن أن كوردستان أصبحت ساحة للنهب الاقتصادي سواء من قبل المسئولين الحكوميين أم من رؤساء العشائر الصغار. وأدى هذا الأمر إلى ترك أجزاء كبيرة من المناطق التي كانت من أملاك أمراء البابان والسوران والبوتان وبادينان وهكاري نهباً للعديد من شيوخ العشائر، الذين كان الأمراء الأقوياء قد حدوا من سلطانهم و نشاطهم تحديداً شديداً. أصبحوا الآن وهم مطلقو العقال يرتكبون كل ما يخطر بالبال من تجاوزات وأعمال شقاوة، ولم يطل الأمر بالفوضى ليغدو وباءاً مستشرياً في كثير من هذه البقاع، كمواطن (الهماوند) في قلب إمارة

(١) نقلاً عن: جليلي جليل، من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، دمشق، ١٩٨٧، ص٨٣.

(٢) صلاح هروري، إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان ١٨٢١- ١٨٤٧: دراسة تاريخية سياسية، اربيل، ٢٠٠٠،ص٥٣.

بابان، ومواطن الزيباريين في منطقة بادينان و هكاري، و بدأ الحل الوحيد المتاح للحكومة العثمانية لمعالجة الوضع هو شن حملات تأديبية التي زادت الطين بلة(١). بل وأكثر من ذلك بدأ ان العشائر الكوردية والطوائف الأخرى في كوردستان وضعت قانوناً للسلب والنهب فيما بينهما كما أشار إلى ذلك (ويگرام) الذي زار كوردستان أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما قال في ذلك: " لأي من الطرفين المتصارعين أن يأخذ ما يريد لكن ما يترك لا يدمر. والنساء لا يتعرض احد لهن بسوء. وعلى هذا الأساس كانت الماشية سلباً قانونيا عادلاً كذلك البسط وغيرها من أثاث المنزل، والأسلحة طبعاً، لكن حرق البيوت والمزروعات وتخريب السواقي هي من المحرمات. وقد يترك المغير الشريف مخزن القمح. أما عدم التعرض للنساء عند غزو قرى العشائر فقد ظل تقليداً متبعا إلى أن قضي عليه في السنوات الأخيرة، وكان الشرط متعارفاً عليه عند الجميع حتى لم تكن هناك ضرورة لحراستهن "(٢). و يضيف مينورسكي، بأنه:"لا يمكن غض النظر عن انه للأكراد رغبة كالتي وصفها احد المؤلفين ببراعة الشيوعية ... عندما يجري الكلام عن ملك الغير "(٣). وان من يقرأ مؤلف (ملا محمود البايزيدي ١٧٩٩- ١٨٦٧) (٤) المعنون (عادات و رسوماتنا مەئی ئەکرادیە)

(١) جرجيس فتح الله، مبحثان...، ص١٧؛ هارفي موريس وجون بلوج، لا أصدقاء سوى الجبال، ترجمة: راج أل محمد، مراجعة وتقديم: هادي العلوي، دمشق، ١٩٩٦، ص٧٥.

(٢) دبليو. أي. ويگرام وادگار. تي. أي ويگرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط٣، اربيل، ٢٠٠١،ص١٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٢.

(٤) يعد الملا محمود البايزيدي من أوائل الكورد الذين عملوا في مجال تدوين النثر الكوردي، حيث خلد للكورد الكثير من مآثرهم منها قصة (مم وزين)، وكتابه عن العادات الاجتماعية للكورد، فضلاً عن تدوينه للعديد من القصص الكوردية . ينظر: فەرهاد پیربال، مەلا مەحمودی بایەزیدی ١٧٩٩- ١٨٦٧: یەکەمین چێروکنووس وبەخشاننووسی کورد، هەولێر، ٢٠٠٠، ل٢٧- ٣٤.

الذي ألفه في خمسينات القرن التاسع عشر نزولاً عند رغبة المستشرق الروسي (الكسندر ژابا ١٨٠٣- ١٨٩٤) (١) يلاحظ أن اغلبه يدور حول الأمن والغزو والنهب واخذ الثأر، وكيف أن هذه القبيلة أو القرية تحمي نفسها، ونورد هنا نصاً من كتابه المذكور على سبيل المثال:" ...أما بصدد الهجوم على البيوت فلا مجال أمام الأكراد غير الموت في سبيل ذلك، فمن المؤكد أنهم يقاتلون حتى الموت، وهناك عادة أخرى لديهم في حالة الهجوم على البيوت، فعندما يلاحظ الأكراد كثرة عدد العدو وقلة عددهم فإنهم يمتطون صهوات جيادهم ويخرجون من بين البيوت ويعتصمون بالجبال أو أي تل منيع..." (٢). وعليه دخلت كوردستان في عهد الفوضى وفقدان القانون لمدة طويلة دون أن تحرك الحكومة العثمانية لمعالجة هذا الوضع، ويبدو أنها كانت البداية الأولى لبروز المشكلة الارمنية التي أحرجت الكورد كثيراً ومراراً على المستوى الدولي.

وقد بدء الرحالة والمستشرقون والمبشرون والساسة الأوربيون العاملون في الدولة العثمانية بنقل هذه الصورة السلبية والمشوهة عن الكورد إلى أوربا والتي طبعت في أذهانهم أن مرادف الكوردي هو المتوحش واللص وقاطع الطريق والغدار إلى ما لا نهاية من الأوصاف السيئة وغير الصحيحة عن الكورد وبلادهم كوردستان، وندون هنا مقتطفات من هذه النصوص: فمثلاً كتب (فرونتشينكو) عن الكورد ما يلي:"الأكراد نوع من القتلة أقوياء الشكيمة منذ القدم..." ويقول (سيرغي):"الاكراد شعب جوهره وحشي همجي. وهم يواصلون تخلفهم

(١) للتفاصيل عن حياة هذا المستشرق ودوره في الاستشراق الكوردي. ينظر: فەرهاد پیربال، سەرچاوەکانی کورد ناسی، سلیمانی، ١٩٩٨، ل٥٣- ٥٥.

(٢) مەلا مەحمودیّ بایەزیدی، عادات ورسوماتنامەئی ئەکرادیە، رشید فندی ڤەگوهاستیە سەر ریّ نڤیسا نوی وفەرهەنگوك وفەروزییّت بوّ داناین ووەرگێرایە سەر زمانیّ عەربی، دهوك، ٢٠٠٦، ل١١٩.

بموجب كل المؤشرات ليظلوا على ذلك المستوى من التطور الذي كانوا عليه قبل ٢٠٠٠ سنة، وهم مع حفاظهم على نظام الأسرة ليس لهم معرفة بنظام الدولة والمجتمع وفق المفهوم المحدد، وسعوا منذ قديم الزمان للعيش على حساب الآخرين كما يقال. وان النهب والقتل هو عملهم المحبوب". وقالت ايزابيلا بير:" إن الحرب والنهب هو العمل الرئيسي للأكراد"(١).

وهناك آخرون كُثر من شوشوا أفكار الأوربيين بهذه السوء عن الكورد، فمثلا نرى (الميجر سون) يتحدث عن الكورد بقوله:"... إن الأكراد على سمعتهم كلها... هم كمضيفين أفضل من الأرمن والأتراك والعرب"(٢). وهنا لابد من التركيز على قوله:" على سمعتهم كلها" وملاحظة أنه قبل مجيئه إلى كوردستان والذي عاش فيها فترة طويلة بين الكورد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكان يتكلم الكوردية كأي كوردي(٣)، كان لديه فكرة مسبقة عن الكورد في الاتجاه السليبي، ويظهر في كتابه " رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان" كيف انه أحب الكورد وغيّر الكثير من مفاهيمه عنهم فمثلاً يقول

(١) للمزيد عن هؤلاء وآخرين كُثر ورحلاتهم وأقوالهم عن الكورد وكوردستان، ينظر: م.س.لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١- ١٩١٧، ترجمة: اكبر احمد، السليمانية، ٢٠٠١، ص٥٣- ٧٦" ن.أ.خالفين، الصراع على كوردستان: المسألة الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: احمد عثمان أبو بكر، بغداد، ١٩٦٩، ص٥- ٦.

(٢) ينظر، مؤلفه: رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكوردستان، ترجمة: فؤاد جميل، الجزء الأول: من اسطنبول إلى السليمانية، بغداد، ١٩٧٠، ص٥٩.

(٣) كان ميجر سون من الضباط الإنگليز الذين عاشوا بين الكورد قبل الحرب العالمية الأولى لفترة طويلة، وتعلم الكوردية بصورة لم يكن يفرق بينه وبين الكورد عند التحدث. أصدر جريدة باللغة الكوردية بعد الحرب العالمية الأولى سماها(تێگەیشتنی راستی – فهم الحقيقة). ينظر: كمال مەزهەر ئەحمەد، تێگەیشتنی راستی: شۆڕشێ لە ڕۆژنامەنوسی كورديدا، بغداد، ١٩٧٨، ل٥ ويا دويفدا.

عنهم:" إذا أردنا أن نكون عدولاً في أحكامنا على الكرد وجب علينا أن نقارب بين كردستان وأوربا قبل ٦٠٠سنة. وحتى بالنسبة لأيامنا هذه فان المقارنة بين الأوربي والكردي لا تسيء إلى الأخير فيما لو جعلنا من القيم المثالية وقواعد الأخلاق معياراً للمقارنة. إننا نجد بين ألف كردي من أي فئة كانوا وكيفما جمعوا، مجرمين خلقيين اقل بكثير مما نعثر عليه في مثل هذا العدد من الأوربيين الذين يجمعون بالصورة نفسها". ويقول في موضع آخر:" يمتاز الكردي باستقامته التي لا تتزعزع وبحفاظه على العهد وعطفه النبيل على أقاربه وسلوكه الإنساني (وبخاصة كرد الجنوب والوسط) تجاه المرأة أكثر من المسلمين الآخرين، وإحساسه الشاعري وتسارعه إلى التضحية من اجل عشيرته، واعتزازه العميق ببلاده وقوميته. ما أعمق تفاخر الكردي بأصله، إذ هو ينهض ويعلن بلغته القومية(ازكر مانجم) او(من كوردم)، أي: (إنني كردي)" (١).

ومن الكُتاب الآخرين، الذين شوهوا الصورة الكوردية كثيراً في أوربا على سبيل المثال (كارل ماي) الكاتب الألماني المتخصص في الروايات الخيالية، ومع انه لم يزر كوردستان إلا انه كتب قصصاً خيالية عن كوردستان نشرها في أوائل القرن العشرين على شكل حلقات مسلسلة في المجلة الكاثوليكية العائلية (الكنز المنزلي الألماني) وكان بطل الرواية، الذي سماه المؤلف(قره بن نمسي)، يصف فيها المغامرات التي عايشها والأحداث التي مرت به خلال رحلته من مدينة الموصل إلى المدينة الكوردية ئاميدي (العمادية) وقد حملت هذه الرواية الحافلة بالمغامرات والجو الرومانسي، عنواناً جذاباً هو(خلال كوردستان البرية أو"المتوحشة")، صدرت بعدئذٍ على شكل كتاب تهافت عليه القراء واكتسبت ملايين من القراء

(١) نقلاً عن: باسيل نيكتين، الكُرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: نوري طالباني، ط٣، اربيل،٢٠٠٤، ص١٠٣.

خلال أجيال متعددة(١). ومن جملة ما ورد في روايته:"... أجد نفسي منذ أيام في وضع مثير لم أمر به من قبل، ولا اعتقد أن بقعة أخرى على هذه الأرض تثير هذا القدر من الألغاز والتساؤلات كالبقعة التي تطأها حوافر حصاني في هذه اللحظة إنها منطقة يسود فيها العداء القومي والتعصب والانتقام والأخذ بالثأر الأمر الذي أدى إلى هلاك أفواج من الأرواح". ويقول في موضع آخر:" إن رائحة الدم والقرى المحروقة ترتفع من أودية كوردستان لتصل إلى السماء. إن حياة المرء في هذا البلد وحريته وممتلكاته معرضة دوماً للتهديد وهو أمر يندر وجوده في أية بقعة أخرى على سطح الأرض"(٢). إن هذا الروائي الألماني لم يزر كوردستان قط وذكر في روايته تلك أوصافاً دقيقة عن جغرافية كوردستان (٣)،وانه فقط سمع بها، وكتب هذه الرواية التي أكسبت الملايين من الناس، وهنا يظهر اثر الدعاية السلبية المضادة القوية بأوربا في الكورد فالراجح انه سمع أخبار كوردستان وقرأ عنها في كتب هؤلاء الرحالة والمبشرين والساسة.

وأخيراً ندون هنا ما ذكره الصحفي الأمريكي (جوناثان راندل) في كتابه: (أمة في شقاق) الذي ألفه في تسعينات القرن العشرين، وكيف كانت معلوماته عن الكورد وكوردستان قبل أن يأتي إلى هذه البلاد، حيث قال عنها:" لم تكن معرفتي بالأكراد تتجاوز حدود بعض العموميات، ففي القرن الماضي-أي التاسع عشر- اعتبرت كردستان منطقة نائية وخطرة مثل(الغرب الاميركي المتوحش)، وفي الواقع فان خيال(كارل ماي) الخصب، وهو مؤلف ألماني عظيم ابتكر فن رواية المغامرات سمح له بالكتابة عن رعاة البقر والهنود في أمريكا، وعما اسماه بـ

(١) گونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين الأيوبي الكورد الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر، ترجمة: عبد السلام برواري، ط٢، دهوك، ٢٠٠٠، ص٥١.

(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٥٣- ٥٤.

(٣) للمزيد عن هذه القصص، ينظر: كارل ماى، پێنج چیروکێت بەرى سەد سالا ل سەر كوردستانێ، وەرگێران: حەجى جەعفەر، دهوك، ٢٠٠٦، ل١١ ويا دويفدا.

(كردستان المتوحشة). وفي رواية (انطوني ترولوب) (هل تستطيع أن تسامحها؟)، الصادرة في العام ١٨٦٤، تتحدث إحدى الشخصيات عن كردستان، كما لو كانت مكاناً نائياً وعنيفاً يقع في أقصى الكرة الأرضية"(١). ويظهر من هذا النص كيف أن فقدان الأمن في كوردستان، بعد انتهاء حكم الإمارات الكوردية سنة ١٨٥١ والدعاية غير الإنسانية قد أثرت بشكل سلبي على سمعة الكورد وشوهت الصورة الحقيقية لهذه الأمة عند هذه الشعوب.

كانت الأمة الكوردية فعلاً غائبة تماماً عن هذا التأثير الإعلامي فيهم ولم يدركوا ذلك إلى وقت متأخر نسبياً. لكن النظر بإمعان في بطون الصحف الكوردية الصادرة في بداية القرن العشرين يظهر بأن بعض المثقفين الكورد قد أدركوا ذلك فعلاً، ومنهم على سبيل المثال(بدري ملاطي) الذي كتب مقالة تحت عنوان(الكورد وكوردستان) ونشرتها جريدة(الشرق وكوردستان) في عددها الأول الصادر في استانبول بتاريخ ١٩ تشرين الأول ١٩٠٨، فبعدما ينتهي بدري ملاطي في بداية مقالته، من توجيه اللوم إلى الدولة العثمانية باعتبارها هي سبب تخلف الكورد وبلادهم كوردستان، يقول عن الكورد في الصحف الأوربية، ما يلي:" في صحف الغرب وصفوا حال الكورد بقصة قاطع الطريق الليلي. أصبحت صفاتنا: الخطر، السارق في عين عالم الإنسانية. هكذا وصفونا، كيف؟ ولماذا؟... حديث الهجوم الكوردي على المواطنين في كوردستان حدث بعد خداع بعض الجهلاء ... كلا نحن الكورد لا نستحق هذه الأوصاف والتهم الباطلة..." (٢).

(١) ينظر، مؤلفه: كردستان أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها، ترجمة: فادي حمود، بيروت، ١٩٩٧، ص١٤.

(٢)Malmîsanij, MahmÜd Lewendî, Li Kurdistana Bakur Ü Li Tirkiyê Rojnamegeriya Kurdî ١٩٠٨ - ١٩٩٢ , Ankara, ١٩٩٢, L ٢٤- ٣٢.

– هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة الكوردية في تطوير الوعي القومي الكوردي ١٨٩٨-١٩١٨، دهوك، ٢٠٠٤، ص٢٣٦- ٢٣٩.

ويظهر على وفق ما سبق بان انهيار وسقوط الإمارات الكوردية سنة ١٨٥١ ودخول كوردستان في عهد فقدان الأمن واستغلال الحكومة العثمانية ورجال الغرب من الأوربيين لها وجعلها مادة إعلامية قد أثرت بشكل ملحوظ سلبياً في تقرير المستقبل السياسي للكورد وجعلهم دون أصدقاء أو علاقات قوية ومؤثرة خاصة مع القوى الكبرى آنذاك خلافاً للقوميات الأخرى الساكنة في الدولة العثمانية كالأرمن والعرب وقوميات دول البلقان.

أولاً: الأسباب الذاتية.

١- فقدان التخطيط والتنظيم لدى الحركات الكوردية.

٢- ضعف الإخلاص،ثم الإخلاص لمن؟

٣- الإفراط في تقديس القادة.

٤- البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الكوردية المتخلفة.

أولاً– الأسباب الذاتية:

ويقصد بها الأسباب المتعلقة بالكورد أنفسهم كأمة وبشخصية الفرد الكوردي نفسه وانهم لو كانوا تفادوها ربما اختلف الأمر، واثر في مستقبلهم السياسي بشكل كبير إيجاباً، فما هو النقص التي اتصفت به حركاتهم ؟ وما هي الأسباب المشتركة التي أدت إلى انهيار معظمها أواخر القرن التاسع عشرحتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين؟ وكيف كان واقع الفكرة القومية الحديثة بينهم ومدى تطورها؟

١– فقدان التخطيط والتنظيم لدى الحركات الكوردية:

إن السمة البارزة والقاسم المشترك بين معظم الحركات الكوردية منذ ١٨٨٠- والتي كان هَدَفُهُنّ الأساس تأسيس دولة كوردية سواء ضمت جميع كوردستان أو بعضها والتخلص من السيطرة العثمانية والإيرانية- هي فقدانهن التخطيط المسبق للحركة. والتخطيط في معناه العام هو:" تحديد أهداف معينة يجب أن يحققها المجتمع خلال مدة معينة مع تحديد الوسائل والأدوات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف ووضع هذه الوسائل والأدوات موضع التنفيذ"(١). أي ما هي الوسائل الممكنة التي يمكن استخدامها للوصول إلى الهدف المقصود، ثم التخطيط يشمل خطة الحركة ومكان المعركة والبدائل سواء أكان ذلك للقوات المحاربة أم لقادتها، فضلاً عن علاقات الحركة الخارجية وكسب الدعم، ولا بد لكل خطة في حالة فشلها

(١) عبد الوهاب الكيالي، ماجد نعمة وآخرون،المصدر السابق،ج١، ص٧٠١.

من خطة بديلة، وتعد هذه الأمور من مسلمات التخطيط الجيد.

أما التنظيم فيقصد به تنظيم قوات الحركة من حيث: المراتب، والأسلحة ثم تنظيم مكتسبات الحركة على ارض الواقع من أسرى وغنائم وأسلحة وارض، وإدارة هذه المكتسبات لضمان نجاح الحركة.

وربما كان افتقار الحركات الكوردية إلى هذا التخطيط والتنظيم يعود بالدرجة الأساس إلى طبيعة المجتمع الكوردي، طبيعة الحياة الكوردية آنذاك والتي يمكن أن نسميها بـ (الحياة البسيطة) البعيدة كل البعد عن تعقيدات العصر الحديث الذي شهدت أوربا تطوراته الأولى، فضلاً عن الطبيعة العشائرية للكورد آنذاك وطبيعة بلادهم الجبلية الشديدة الوعورة.

ولنا في معظم الحركات الكوردية أمثلة على ذلك، خلال مدة البحث، ونورد هنا مثالين على ذلك:

الأول هي حركة الشيخ عبيد الله النهري(١٨٨٠-١٨٨١)، ربما كان في البداية للحركة شيء من التخطيط الأولي من حيث اختيار كوردستان إيران نقطة لانطلاق شرارة الحركة وذلك لضعف الحكومة القاجارية آنذاك ولجعل كوردستان إيران وخاصة السهل الأرمني فيها قاعدة اقتصادية تمد الحركة بالتموين. إلا انه عند المتابعة الدقيقة لتفاصيل الحركة وأحداثها يظهر جلياً ضعف هذا التخطيط الأولي بَدْءاً، ثم غياب التنظيم الجيد بشكل كبير لهذه الحركة" إذ لم يكن هناك أيُّ تنسيق بين العشائر الكوردية المشتركة في الحركة بل إن اغلبهم التحقوا بالحركة لا لدافع قومي بل لمجرد حصولهم على الغنائم ومصداق هذا القول أنهم تركوها في اشد أوقاتها احتياجاً لهم، ثم أين التخطيط عندما قبض على الشيخ عبيد الله النهري؟! لم يكن هناك احد لخلافته في الاستمرار بالحركة، ولاسيما إذا ما علمنا أن حركة الشيخ عبيد الله النهري تعد من اكبر الحركات الكوردية في العصر الحديث من حيث: عدد المشاركين فيها وسعة الأراضي التي استولى عليها الشيخ

في بداية حركته. فلو كان هناك تخطيط وتنظيم مسبقين لما كان لأية حركة مثل حركته أن تنتهي بمجرد القبض على رئيسها، وحتى الان يستغرب الباحثون والمؤرخون من سرعة انطفاء نار هذه الحركة وعدم لجوء الشيخ عبيد الله النهري إلى حرب العصابات، التي كانت تجري في عدة مناطق في الدولة العثمانية وما جاورها(١)، بعد خسارته في أورمية. وعن أسباب فشل هذه الحركة يقول(جليلي جليل):" يعزى سبب فشل هذه الحركة إلى الفوضى وافتقارها إلى التنظيم، وفيها كان للعداوات بين القبائل المنظمة دور رئيس. خصومات لم يفلح الشيخ في معالجتها رغم كل ما تمتع به من مهابة ونفوذ. بعد الفشل الأول انحل الحلف الكوردي(٢) الذي اقسم على الولاء والإخلاص للمبادئ التي آمن بها الشيخ وعمل لأجلها، ولم يكن هناك برنامج محدد، ولا أساس واضح يقام عليه بناء مستقبلي. فضلاً عن تعذر فهم المنطق القبلي المحدود لطبيعة الأهداف"(٣).

والمثال الثاني على عدم التخطيط والتنظيم هي حركة الشيخ سعيد پيران ١٩٢٥ في كوردستان الشمالية(تركيا)، فقد وصلت الفوضى في هذه الحركة إلى قيام الكورد المدنيين أنفسهم بطرد ثوار هذه الحركة من مدينة الازيغ نتيجة تضررهم من أعمال السلب والنهب والفوضى التي شهدتها المدينة لعدة أيام بعد

(١) حول موضوع حرب العصابات هذه، ينظر: عثمان علي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٢) ويقصد به الحلف الذي أقامه الشيخ بين العشائر الكوردية والطوائف الدينية هناك، في تموز ١٨٨٠، وذلك بهدف التحضير للحركة. ينظر: عبد الله محمد علي، كردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين- اربيل، ١٩٩٨،ص١١٧- ١١٨.

(٣) ينظر، بحثه: حركة الشيخ عبيد الله النهري العام ١٨٨١، في: جرجيس فتح الله، مبحثان...،ص١٠٠.

دخول رجال الحركة الكوردية إليها(١). ويكاد اغلب الباحثين والمؤرخين يتفقون على عفوية هذه الحركة، ومن هؤلاء (زنار سلوبي) الذي عاصر الحركة وشاهدها بأم عينه،إذ يقول عنها:" للأسف الشديد لم تمتلك هذه الحركة تنظيماً كافياً لأنها كانت ذات طابع عشائري"(٢). ويقول في موضع آخر:" إن الأعمال البطولية الخارقة، والتضحيات الجسيمة التي قدمها المقاتلون الأكراد في مختلف مناطق الانتفاضة... لم تكن ضمن إطار تنظيمي، بل كان كل شخص عملياً يستفرد برأيه، ولذلك- ورغم التضحيات الجسيمة- بقيت أهداف الحركة للأسف الشديد بعيدة جداً عن المنال والتحقيق. لمرات عديدة استطاع المقاتلون الأكراد محاصرة قوى هائلة من الجيش التركي، وأوشكوا على أسرها، ولكن بسبب غياب القيادة المنظمة المحكمة للعمليات، كان الثوار يتركون أماكنهم ومواقعهم، أو يتقاعسون بسبب هطول أمطار غزيرة أو حلول الظلام... وبهذه التصرفات كانوا يتركون للعدو فرص النجاة، واخذ المبادرة بدلاً من الانهزام. إن غياب هيئة أركان عسكرية في مستوى المسؤولية، وعدم وجود تنظيم صحيح، يؤمن طاعة المجموعات الدنيا لقيادة الانتفاضة أدى إلى استفراد كل محارب برأيه، والقتال حسب مشيئة أو رغبة عدد من رفاقه المتواجدين في مجموعته. وهذه الأسباب فوتت فرصة النجاح على الثوار، الذين ابدوا شجاعة وأقداماً فوق إمكانيات وطاقات البشر، قلما تشاهد لها مثيلاً لدى شعوب أخرى. يجب أن يكون ذلك درساً لا ينسى لنا، ويجب أن نعلم بأن الانتفاضة العفوية وغير المنظمة لن توصلنا إلى الانتصارات والنجاحات النهائية "(٣). أما (جليلي جليل) فيورد أيضاً عدة أسباب لفشل حركة ١٩٢٥ من بينها كما يقول:"... كان السبب الثالث

(١) بخصوص هذه الحادثة، ينظر: ديڤيد مكدول، المصدر السابق، ص٣٠٥.
(٢) المصدر السابق، ص٩٠.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠١- ١٠٢.

لفشل الثورة هو غياب تنظيم سياسي موحد وقوي، له برنامج عمل واضح..."(١). وكذا يذكر م.أ. هسرتيان(٢).

المهم في الأمر انه لم يكن لهذه الحركات الكوردية- ولفترة طويلة- برنامج واضح وتكتيك محدد. لقد انبثقت هذه الحركات من ضرورة التصدي للظالمين وبمبادرة الجماهير الشعبية وكان في قيادتها عادة رؤساء العشائر وشيوخ الدين الذين لم يكن لديهم كثير من الصفات الضرورية لقيادة هذه الحركات والتي منيت بالفشل في نهاية المطاف(٣). ويبدو أن الكورد قد نظموا أنفسهم في خويبون التي تأسست سنة ١٩٢٧ كَرد فعل على عدم التخطيط والتنظيم الذين لازما الحركات الكوردية السابقة وخاصة حركة الشيخ سعيد پيران ١٩٢٥. فقد قادت خويبون حركة ارارات ١٩٣٠ والتي تعد حسب نظرة المؤرخين والباحثين أفضل الحركات الكوردية لما شهدته من مستوى عالٍ من التنظيم والتخطيط(٤).

(١) ينظر: جليلي جليل، م.س.لازاريف واخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: عبدي حاجي، بيروت، ١٩٩٢، ص١٤٥.
(٢) ينظر، مؤلفه: كردستان تركيا بين الحربين، ترجمة: سعد الدين ملا وباقى نازى، بيروت، ١٩٨٧،ص١٠٥- ١٠٦.
(٣) جليلي جليل، م.س.لازاريف واخرون، المصدر السابق،ص١٦٢" سعد ناجي جواد، دراسات في المسألة القومية الكوردية، بيروت، ٢٠٠٥،ص١٨.
(٤) للتفاصيل عن التخطيط والتنظيم في خويبون وثورة ارارات ١٩٢٧- ١٩٣١، ينظر: روهات الاكوم، خويبون وثورة اكرى، مراجعة: شكور مصطفى، اربيل، ٢٠٠٠،ص٥ وما بعدها" محمد ملا احمد، جمعية خويبون والعلاقات الكردية – الارمنية، اربيل، ٢٠٠٠، ص١٢ وما بعدها.

٢- ضعف الإخلاص، ثم الإخلاص لمن؟

يبدو أن استقبال الكورد كقومية مستقلة للفكرة القومية الحديثة شابهه بعض الغموض ولم يتم استيعابها بصورتها الواقعية. إذ يضم تاريخ الكوردي الحديث والمعاصر عدة أمثلة حية على عدم الإخلاص أو الخيانة سواء على مستوى الثورات والحركات الكوردية أم على مستوى الأشخاص ونظرتهم إلى واقعهم الكوردي.

فعلى مستوى الحركات الكوردية آنذاك يظهر بوضوح عامل الخيانة، بل إن العديد من المؤرخين والباحثين يعدون فقدان الإخلاص وحلول الخيانة محلها من أحد أهم أسباب فشل بعض هذه الحركات وانهيارها. ونكتفي هنا بذكر مثاليين على حالة الخيانة المتواجدة في الحركات الكوردية الحديثة، وهما:

١- خيانة (الصوفي عبد الله)، وهو كوردي من قبيلة الشكاك للشيخ عبد السلام البارزاني سنة ١٩١٤ عندما كان في ضيافة قبيلة الشكاك بعد اضطراره إلى اللجوء إليهم بعد مهاجمة القوات العثمانية لأراضيه في منطقة بارزان. حيث وقع الشيخ عبد السلام البارزاني في كمين أعده له الصوفي عبد الله وتم أسره وتسليمه على الفور إلى والي الموصل الكوردي أيضاً (سليمان نظيف) (١) الذي

(١) سليمان نظيف (١٨٦٨- ١٩٢٧): وهو ابن سعيد باشا، وهو كورديٌ من ديار بكر، عاش في أوربا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وعرف بآرائه الحرة ونزعته الدستورية، تقلد عدة مناصب إدارية بعد انقلاب ١٩٠٨ منه والي قسطموني والموصل والبصرة وبغداد.ويقال: إن أمه أصلها من كورد اليزيديين، نظم العديد من الأشعار باللغة التركية. ينظر: مير بصري، أعلام الكرد، لندن- قبرص، ١٩٩١، ص٦٦- ٦٩؛ كورديّكى يكرهنك، ديارى ژمارەى، گوڤارى روژنامەڤانى، هەولێر، ژمارە(٩)، هاوينى ٢٠٠٢، ل ٣-٤.

ما لبث أن اعدم الشيخ في نفس السنة ١٩١٤ في مدينة الموصل(١).

٢- الخيانة المشهورة لـ (قاسم بيك جبرانلي) احد قادة حركة الشيخ سعيد پيران سنة ١٩٢٥ وكان من المقربين للشيخ. فأن خيانته لقائده المذكور قد مكنت القوات التركية اثر المعلومات التي أدلى لهم بها من اسر الشيخ سعيد پيران في أيار ١٩٢٥ وإعدامه مع (٧٠) من رجاله(٢).

مر سابقاً القول بأن الكورد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يستوعبوا في بداية نهضتهم القومية، الفكرة القومية بأبعادها المختلفة. فبعيداً عن موضوع الخيانة في الحركات الكوردية يظهر بأن الكورد الذين اشتركوا في هذه الحركات إنما كان إخلاصهم الأول هو لقائدهم وليس للقومية كفكرة. وبالإمكان ملاحظة هذا الأمر في اغلب الحركات الكوردية آنذاك إذ ما إن يلقى القبض على قائد الحركة أو يقتل، حتى يظهر للعيان بأن تجمع الكورد حول هذه الحركة أو تلك إنما كان بتأثير القادة ولم يتجمعوا حول الفكرة القومية، فأن استمرار وإدامة هذه الحركات كانت مرتبطة فقط باستمرار قادتها معها. ولنا في معظم الحركات الكوردية أمثلة على ذلك، منها(حركة الشيخ عبيد الله النهري ١٨٨٠، حركة الملا سليم في بدليس١٩١٣-١٩١٤، حركة الشيخ سعيد پيران ١٩٢٥...).ومثلاً يقول(سيامند ز. عثمان) بهذا الخصوص عن حركة الشيخ عبيد الله النهري بعدما يورد إحدى رسائل الشيخ إلى الممثل البريطاني في باشخال، ما يلي:" لا يختلف الكثيرين حول المحتوى القومي الواضح لهذه الرسالة ولكن الحركة نفسها سرعان ما

(١) ينظر: مسعود البارزاني، البارزاني والحركة التحررية الكردية، ج١،ط٢، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٤- ٢٨" پى رەش، بارزان وحركة الوعي القومي الكردي ١٨٢٦- ١٩١٤، باريس، ١٩٨٠، ص٩٩.

(٢) ينظر، مثلاً: علي عثمان، المصدر السابق، ص٤٥٢.

انهارت بعد اعتقال قائدها عبيد الله- اثر وقوعه في فخ دسيسة السلطان- الأمر الذي يشير إلى أن الإجماع النسبي حول الفكرة القومية، الذي كان الشيخ قد تمكن من خلقه بين الأكراد آنذاك، كان لحظياً ولم يستند على مصالح ثابتة"(١). بمعنى إن الكورد لم يقوموا بدورهم، بعد ذهاب قادتهم، عندما كان مطلوبا منهم ذلك، وكان بوسعهم القيام بهذا الدور مرات ومرات عديدة.

وأخيراً في موضوع الإخلاص أيضاً يظهر بأنه في أوائل القرن العشرين شهد أفراداً كُثراً من القومية الكوردية سواء أكان ذلك في داخل كوردستان أم في خارجها عملوا وبقوة لدعم القوميات الأخرى، بل وحارب قسم منهم قوميته الكوردية، ويمكن القول بأن اغلب هؤلاء كانوا من أصحاب الفئة الغنية وبعض المثقفين وأصحاب الإدارة في العهد العثماني، فهذا(زنار سلوبي) نفسه يتحدث عن بعضهم في مذكراته أوائل القرن العشرين، بالقول عن بعض أهالي ديار بكر من الكورد ما يلي:"...ورغم إتقانهم للغتهم القومية-اللغة الكوردية- إلا إن قسماً من السكان كانوا يتحدثون عادة بالتركية فيما بينهم ... وبعض الناس، ممن وجدوا بأن المتحدثين بالتركية يعتبرون فئة ذات امتياز خاص، اثروا مصالحهم الخاصة، وتخلوا عن شعورهم القومي، وحاولوا التكلم بالتركية في كل فرصة سانحة"(٢). وان من يتصفح الصحافة الكوردية يرى بوضوح أن بعض المثقفين الكورد وخاصة في استانبول قد شاهدوا هذا السلوك عند بعض الكورد هناك ولنا في مقالة (خليل خيالي) (٣) الذي نشره في العدد الرابع من مجلة روژی كورد

(١) المصدر السابق، ص٢٢.

(٢) ينظر، مذكراته: مسألة كردستان: ٦٠ عاماً من النضال المسلح للشعب الكردي ضد العبودية، تنقيح وتقديم: عز الدين مصطفى رسول، ط٢، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٠.

(٣) خليل خيالي (١٨٧٦- ١٩٢٦): يعد من اشهر الشخصيات الكوردية العاملة في مجال=

الصادرة بتاريخ ١٣ أيلول ١٩١٣ بعنوان (نقد وشكوى) خير دليل على ما سبق، خاصة إذا ما علمنا بأن خليل خيالي كان في السنوات الأولى من القرن العشرين صديقاً لـ (ضياء كوك ألب) (١) وهو كورديٌ من ديار بكر استترك كلياً وأصبح المنظر الأول للدولة التركية الحديثة التي أسسها (مصطفى كمال باشا) سنة ١٩٢٣ كما يذكر زنار سلوبي(٢). ولذلك نختم هذا الموضوع بإيراد مقالة خليل خيالي كاملة لأهميتها التاريخية أولاً، وللتقرب من الصورة بحقيقتها وأبعادها لفهم الموضوع بشكل أفضل ثانياً. وهذا هو نص المقال بعد ترجمته من الكوردية إلى العربية:

تطوير اللغة الكوردية وثقافتها في الربع الأول من القرن العشرين، ينتمي إلى عشيرة مودان الكوردية التابعة لقضاء موتكى في كوردستان تركيا، سافر إلى استانبول في أوائل القرن العشرين، يعد المؤسس الأول للألفباء الكوردية المبنية على أساس الحروف العربية، شارك في اغلب الجمعيات الكوردية في استانبول حتى وفاته فيها سنة ١٩٢٦. ينظر: زنار سلوبي، المصدر السابق، ص٣٣-٣٥؛ هوگر طاهر توفيق، الألفباء الكوردية بالحروف العربية والحروف اللاتينية: نشوؤها وتطورها ١٨٩٨- ١٩٣٢، دهوك، ٢٠٠٥، ص٢٤- ٣٢.

(١) ضياء كوك ألب(١٨٧٦- ١٩٢٤): ولد كوك ألب، واسمه الحقيقي محمد ضياء، في ديار بكر في ١٨٧٦. كان والده مديراً صغيراً في مدينة كوك ألب، ورغم كونه كوردياً فقد تربى على استشراف المدنية العثمانية وعلى ازدراء طبيعي للثقافة الكوردية الريفية. وقد استحوذت كتابات عبدالله جودت على تفكيره وهو شاب. حيث برز على المستوى القومي في مؤتمر لجنة الاتحاد والترقي لعام ١٩٠٩ إذ مثّل ديار بكر. وقد تم انتخابه في المجلس التنفيذي للحزب وكانت مساهمته الفكرية في الهوية القومية التركية من الأهمية لدرجة انه بعد مماته في ١٩٢٤ خلقت أفكاره حركة فكرية وفرت الإلهام اللازم من اجل تغيير العقلية الشعبية من الإمبراطورية إلى الأمة ومن الدين إلى العلمانية ومن الشرق إلى الغرب.ينظر: ديڤيد مكدول، المصدر السابق، ص١٦١.

(٢) المصدر السابق، ص٣٣- ٣٤.

نقد وشكوى

"يا أهل المدينة..نحن وانتم كنا في قرية واحدة وبين عشيرة واحدة أخوة، كانت مسراتنا وأحزاننا ونداؤنا واحدة، كنا نقوم ونعمل معاً، ولم نكن ندعي الزعامة أو الرعية على بعضنا، أطفالنا كانوا يرعون الأبقار والأغنام معاً، بناتنا ونسائنا كنّ يذهبْن للحلب وجلب الماء من العيون معاً.

دار الزمانُ وأبعدكم عنا، ذهبتم إلى المدن وبقينا في القرى، وفتحت عيونكم على المدينة، فأصبحتكم أثرياءاً وبقينا فقراء، بعد بقائكم فترة في المدينة وتعلمتم لغة أهل المدينة انسلختم من قرويتكم وكورديتكم واعتبرتم أنفسكم من الجنسيات الأخرى، ولم تبق بيننا أية علاقة أو صداقة. ولم تقتنعوا بهذا أيضاً، بل تتحدثون دائماً عن سلبياتنا وجهلنا، وعملتم ما باستطاعتكم في حقنا دون رحمة، رغم أننا من أهل القرية فقراء وجهلاء ولكن لا ننكر جنسنا وقوميتنا، ولا نصبح مثلكم عالة على قومهم.

ماذا تستنكفون منا؟ إذا كان العيب فينا هو جهلنا، فأنتم السبب لو ساعدتمونا عندما انعم الله عليكم بالعلم والمال، لكنا نعلم مثلكم وما بقينا جهلاء لان جوهرنا واحد.

يا أهل المدينة .. اعلموا جيداً لا تستطيعون أن تذهبوا إلى المدينة وتصبحوا أصحاب القصور والأموال بدوننا.هل سمعتهم في زمان ما أن ضابطاً تركياً تخلى عن قومية وجعل الاعتداء على قومه شيئاً مشروعاً إذا كان هذا مكتوباً في كتب المسلمين فأرونا نحن القرويين لنعلم منها ونترك شكوانا، وإلا فأنتم تظلموننا ولا تطيعون أوامر الله.. اتقوا الله ولا تطردونا من إخوتكم. انتم تعلمون بأننا نعرفكم ونعرف آباءكم وأجدادكم ومن أين جئتم؟ لم تخرجوا من الأرض ولم تنزلوا من السماء، طبعاً جئتم من أطراف المدينة ولا نرى أحداً غير الكورد في أطراف المدينة. نحن نقبل بأنكم أكابرنا، فتقدموا أمامنا وبيّنوا لنا طريق الحق من الباطل كما يرعى الناس

شعوبهم، ارعونا، احزنوا بحزننا وافرحوا بفرحنا، تعلمتم وبقينا جهلاء، باستطاعتكم أن تعملوا الكثير ولا طاقة لنا. بالله عليكم يا أهل المدينة لا تضيعوا أصلكم ونسلكم. منا القول ومنكم الاستماع.. إن الله خبير بذات الصدور". م.خ(١)

ان من يقرأ هذا المقال المار ويتصفح الكورد في المدن العثمانية وخاصة في استانبول(٢)، يجد بأن بعضاً من هؤلاء الكورد بعد هجرتهم من كوردستان وأصبحوا أغنياء وتسنموا مناصب إدارية هناك يستحون من أنهم كورد إذ ينظرون باستخفاف إلى قوميتهم، ولذلك تنصلوا منها أمام القوميات الأخرى: (التركية،الفارسية،العربية) وتبرؤا منها، بل بالأحرى تبرأت القومية الكوردية منهم. وربما يرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى الدعاية السيئة التي مارستها مختلف الجهات-كما مر سابقاً- ضد الكورد والنظر إليهم كبرابرة وبدرجة أدنى منهم، وفضلاً عن ذلك فان اغلب الكورد المهاجرين إلى استانبول، عاصمة الدولة العثمانية، كانوا يمتهنون مهنة الحمالة (العتالة) والتي ألصقت بهم في بداية القرن العشرين. ولهذا نرى هؤلاء الأغنياء من الكورد الذين ورد ذكرهم في نص المقال أعلاه، بدلاً من أن يواجهوا المشكلات التي تعصف بقوميتهم ويحاولوا إيجاد الحلول لها نراهم يتنصلون عن أصولهم الكوردية ويقطعون كل مالهم بكوردستان، ويقدمون على ذلك كله من اجل أنانيتهم مصالحهم الشخصية الآنية والضيقة.

---

(١) عن النص الأصلي للمقالة باللغة الكوردية، ينظر: روژی کورد: گوڤاری چڤاتی هێڤی یی قوتابیانی کورد ١٩١٣- ئەستەمووڵ، ئامادەکردن وڵێکۆڵینەوەی: عەبدوللاّ زەنگەنە، پێشەکی: ئیسماعیل شوکر، سلێمانی، ٢٠٠٥، ل٢٥ ژ ژمارە چارێ. ومن المفيد ذكره هنا ان خليل خيالي لم يكن يصرح باسمه في كتاباته بل كان يستعيض عن ذلك اما بلقب أو برمز ومن ذلك:(م.خ، خ...، مودانی..خ، باب ناجو). ينظر: کوردێکی یکرەنک، سەرچاوەی پێشووی، ل٤.

(٢) للمزيد عن كورد استانبول آنذاك، ينظر: ڕۆهات ئەلاکوم، کودەکانی ئەستەمبوولێ کۆن، وەرگێڕانی: احمد تاقانه، هەولێر، ٢٠٠٥، ل١٥ ويا دويفدا.

٣–الإفراط في تقديس القادة:

تعرف الأمم كما يقال - وبلا شك- بقادتها على مختلف الأصعدة: السياسية، العسكرية،الاجتماعية والاقتصادية. بل هناك نظرية لتفسير التاريخ تذكر بان التاريخ كله إنما هو تاريخ هؤلاء القادة والأبطال وهو الوحيد المستحق أن يدرس ويبحث عنه، ورائد هذه النظرية في تفسير التاريخ هو(توماس كارليل١٧٩٥-١٨٨١) الذي يمجد هؤلاء الأبطال الذين صنعوا هذا التاريخ(١). وواقع الحال فأن الأمم تفتخر بقادتها وان هذا القائد أو ذاك إنما هو من نتاجهم، بل ويتباهون بين الأمم الأخرى في أن هذا القائد ينتمي إليهم،كما يتباهى الفرنسيون مثلاً بنابليون بونابرت والألمان بـ بسمارك والإنكليز بـ ونستون تشرشل...الخ.

إلا انه بالنسبة للكورد يظهر- عند تصفح تاريخهم- أنهم ذهبوا ابعد من ذلك إذ نظروا إلى الفكرة القومية الحديثة من خلال قادتهم ولم يذهبوا ابعد من ذلك ونقصد بها تحقيق أهداف الفكرة القومية والاستمرار في الحركة والنشاط للحصول على الاستقلال لهذه القومية. وان تقديس الكورد هذا للقائد، الذي هو بدوره احد نتاج هذه القومية، جعله شعباً يؤدون دوراً سلبياً في تاريخهم الحديث والمعاصر عندما كان مطلوباً منهم أداء هذا الدور بإيجابية. فمثلاً لا يوجد في تاريخ الكورد الحديث والمعاصر، خاصة في مدة الدراسة تلك، أية ثورة أو حركة قام بها الشعب الكوردي نتيجة لمشكلة ما واجهته. بل انه في مرات عديدة كانت أطراف أجنبية تستغله أو تسرق موارده وتهينه لمدة عقود من الزمن ولا ينتفض أو يحرك حتى يأتي قائد يحركهم، وما أن يقتل أو يؤسر هذا القائد حتى تنتهي هذه الحركة وكأنها لم تكن، وان الأسباب المسببة للحركة كانت ما تزال قائمة، وهنا يكتفي

(١) عن هذا التفسير للتاريخ وأفكار توماس كارليل، ينظر: فرانجويس جاتيلت واوليڤر دوهامل، المصدر السابق، ص١٥٩- ١٦٠.

الكورد فقط بانتظار قائد آخر ليحركهم وان كان مجيئه سيطول لعقود أخرى من الزمن. في حين نرى بالمقابل في القوميات والشعوب الأخرى هناك الكثير من الثورات والحركات قام بها الشعب لسبب ما ثم أفرزت بعد ذلك قائداً لها،كالثورة الفرنسية لسنة ١٧٩٨، وثورات أوربا في عامي١٨٣٠و١٨٤٨ وثورات شعوب البلقان أواخر القرن التاسع عشر حتى بدء الحرب العالمية الأولى(١). أي انه في الثورات والحركات الكوردية وكأنها قضية هذا القائد أو ذاك وليست قضية امة بكاملها تريد العيش باستقلالية ضمن أرضها الموروث لها تاريخياً.

وقد تنبه بعض المؤرخين والباحثين لهذه الحالة ووصفوها في نتاجاتهم، فمثلاً يتطرق (محمد أمين زكي) إلى هذه الحالة عندما يتحدث عن الحياة الاجتماعية للكورد ويقول إنها تمتاز بأوصاف بارزة، منها:

١- التفاف الكورد حول زعيم كائناً من كان، وقد يكون أجنبياً عنهم، وهذا الوصف يكاد يكون تقليداً تاريخياً لا يتبدل.

٢- إطاعتهم لهذا الزعيم إطاعة عمياء مع مراعاة بعض التقاليد التاريخية في ذلك(٢).

ويقول (مينوسكي) في ذلك أيضاً:"في كثير من ألاماكن ينظر إلى الأغا كأنه هو الغازي المنتصر، والرعية كأنها من جنس آخر، وللحقيقة يجب أن يقال إن شخصية الأغا فيها من النبل والكرم إلى درجة بحيث يكون بالإمكان تفريقه عن الفلاحين في أول نظرة، وفيها قابلية خارقة للسيطرة"(٣).

(١) للتفاصيل عن هذه الثورات، ينظر: هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق، ص١٣٢-١٤٧وص١٨٥- ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق، القسم الثاني، ص٨٢.

(٣) المصدر السابق، ص٩١.

ويبدو أن هذا التقديس للقادة كان من أهم أسباب عمق قوة العشائر في المجتمع الكوردي كما أنها تعد من أهم الأسباب التي ولدت الانشقاق بين الكورد وعملت على منعهم من العمل بانسجام. والتي يعدها بعض الباحثين - أي: جذور المجتمع الكوردي العشائرية وعدم الاتفاق وانشقاقهم إلى عشائر ومجموعات متفرقة- من أهم الأسباب التي حالت دون قيام وحدة كوردية تعمل معاً لتأسيس دولة كوردية، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى(١).

وللمرء أن يتصور هنا، مدى العلاقة القوية بين هذه الجماعات الكوردية، سواء أكانت عشائر أم اكبر، وقادتها وحبهم لهم إلى ابعد حد كل حسب جماعته، أن يتصور أوضاع الكورد بعد الحرب العالمية الأولى الذي وجد اغلب قادته التاريخيين، وخاصة من العائلتين المشهورتين (البدرخانية والشمزينية)، خارج كوردستان، يناضلون من اجل كوردستان مستقلة، ولكن خارج كوردستان ولم يكونوا بين رعاياهم من الكورد، وتجمعوا بشكل خاص في مدينة استانبول. ويبدو أن القيادة الكوردية المتمثلة آنذاك بـ(جمعية تعالي كوردستان) والتي تأسست في استانبول بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وانتخب(الشيخ عبد القادر الشمزيني) رئيساً لها، شعرت بوجود مثل هذه الفجوة بين الكورد وقيادتهم التاريخية، لذلك يذكر(زنار سلوبي)، بأنه:" اقترح عدد من أعضاء الجمعية-أي جمعية تعالي كوردستان- على السيد عبد القادر أفندي وغيره من القادة البارزين في المجلس القيادي، السفر إلى كوردستان ومتابعة العمل هناك، إلا إن قيادة الجمعية لم توافق على هذا الاقتراح"(٢). فقد كان هذا الشعب بحق في اشد أوقاته احتياجاً إلى هذه القيادة البعيدة كل البعد عن حياتهم ومشاكلهم وأوضاعهم

(١) ينظر،مثلاً: سعد ناجي جواد، المصدر السابق، ص١٥٥" برهان أبا بكر ياسين، كوردستان في سياسة القوى العظمى ١٩٤١- ١٩٤٧، ترجمة: هوراس،دهوك، ٢٠٠٢،ص١٧.

(٢) المصدر السابق،ص٦٨- ٦٩.

الداخلية(١).

ومن المفيد هنا أن نشير إلى مناقشة حدثت بين الأمير احمد ثريا بدرخان و(ملا كرمانج ا.كامل) على صفحات جريدة كوردستان، والتي كان يصدرها الأمير المذكور في مصر بين عامي ١٩١٧-١٩١٨(٢)بخصوص هذا الموضوع، فقد بعث (ملا كرمانج) رسالة إلى جريدة كوردستان نشرتها في عددها السادس الصادر بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧، ويبدو من محتوى الرسالة أن (ملا كرمانج) هو من احد علماء الدين الكورد في مصر.وفي رسالته يبين (ملا كرمانج) أوضاع الكورد السيئة وعدم نيلهم حريتهم في زمن حصلت فيه اغلب الشعوب على حريتها، وبعد كلام طويل مفصل ومنه أبيات للشاعر احمدى خانى، يذكر بأن إصلاح شؤون هذه القومية يقع فقط على عاتق أمرائهم وحكامهم إذ يقول:"... ولكن ماذا نفعل نحن العلماء والشيوخ والشعراء والفقراء؟! ليس في أيدينا شيء..وهذه المهمة بالدرجة الأولى تقع على عاتق الحكام والأمراء...". ونشر احمد ثريا الرد عليها في العدد السابع من جريدته

(١) يبدو أن التقديس للقادة من جانب الكورد قد وجد صداه أيضا في الفلكلور الكوردي. حيث يمتاز الفلكلور الكوردي بوفرته حتى أطلق عليه احد الباحثين الروس في هذا المجال بـ(نضج الفلكلور الزائد عن الحد)، ففضلاً عن انتشار الأمية بين الكورد وقوة اللغة الكوردية اللتين كانا من أسباب هذه الكثرة التي تميز به هذا الفلكلور. عن هذا الامر، ينظر: هوگر طاهر توفيق، الالفباء الكوردية...،ص٢٠. بالإمكان إضافة هذا السبب أيضا، وهو أن حب الكورد لقادتهم وزعمائهم جعلهم يتغنون بأفعالهم (حروبهم، أخلاقهم، كرمهم ورجولتهم...الخ)، وسواء أكان ما يفعله هؤلاء القادة كبيراً أم عادياً.

(٢) للتفاصيل عن حياة الأمير احمد ثريا بدرخان وجريدته كوردستان ١٩١٧- ١٩١٨، ينظر: ماليسانژ، بدرخانيو جزيرة بوتان: ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ترجمة: شكور مصطفى، اربيل، ١٩٩٨، ص٨٢- ٩٦" صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية: نشاطها السياسي والثقافي ١٩٠٠- ١٩٥٠، دهوك، ٢٠٠٤، ص٧٧- ١٠٥.

الـذي صـدر بتـاريخ ٣ كـانون الأول ١٩١٧ وحمـل هـذا الـرد عنـوان (إلى مـلا كرمانج ا. كامل) وفيه يذكر احمد ثريا بأن إصـلاح هـذا الواقـع يقـع علـى عـاتق فئات المجتمع الكوردي كافـة، فـإن واجـب العلمـاء والـشعراء هـي توعيـة النـاس وتهيئه أرضية مناسبة حتى يتمكن من خلالها أمـراء وقـادة الكـورد مـن قيـادة الأمـة بـشكل أفـضل. ويؤيـده في ذلـك (مـلا طـه جزيـري) الـذي نـشرت جريـدة كوردسـتان رسـالته إليهـا في عـددها التاسـع الـذي حمـل تـاريخ ٣١ كـانون الأول ١٩١٧(١). المهم في الأمر وبالنظر في مـضامين رسـالة(مـلا كرمـانج) أنـه يظهـر بوضـوح مـدى القدسـية والحـب العميـق الـذي يكنـه الـشعب الكـوردي لقادتـه باعتبارهم القادرين على قيادتهم والامناء علـى إيـصالهم إلى بـر الأمـان بـسلام وإيجاد الحلول لمشاكلهم بسرعة متناهية مما جعل الكورد يؤدون دوراً سلبياً في كثير من المرات نتيجة إفراطهم في هذا الجانب.

٤- البنية الإجتماعية والإقتصادية والثقافية الكوردية المتخلفة:

يكاد اغلب الباحثين والمؤرخين الذين بحثـوا في تـاريخ الكـورد الحـديث يتفقـون على عد هذا الموضوع من أهم الأسباب التي منعت من قيام دولة كوردية خاصـة بعد الحرب العالمية الأولى.

إن الطبيعة العشائرية للمجتمع الكـوردي وعـدم اتـصال كوردسـتان بالـسوق العالمية آنذاك وتفشي الأمية بين الكورد بنسبة كـبيرة كانـت كلـها أسـبابا وقفـت بوجه الكورد ومنعتهم من تأسيس دولة خاصة بهـم، إلا أن هـذا العامـل لم يكـن

(١) حول تفاصيل هذه الرسائل ومحتوياتها، ينظـر: كوردسـتان يەكـەمين رۆژنامـەى كـوردى: دەوردى سێيەم ١٩١٧- ١٩١٨، كۆكردنەوە وپێشەكى: كەمال فوئاد، سـلێمانى، ١٩٩٨" هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة...، ص٢٣١- ٢٣٢.

متعلقاً فقط بالكورد كشعب بل تتحمل الجزء الأكبر منه الحكومات التي كانـت تحكم كوردسـتان. ففـي مـرات كـثيرة عملـت هـذه الـدول علـى تعميـق العلاقـات الاجتماعية سلباً والوقوف في طريق تطورها. وجعلت من كوردستان ساحة للنهـب الاقتصادي لم تعالج أبداً، مع أنها كانت الدولة والحكومة، الوضـع الثقـافي للكـورد الذين كان يعانون الأمية بنسب كبيرة.

لا نريـد الـدخول في تفاصـيل هـذا الموضـوع لكثـرة مـا كتـب فيـه البـاحثون والمؤرخون أولاً، ولان الحديث جاء عن جزء منه سابقاً وسيأتي الحـديث في مواضـع أخرى عنه ضمن هذه الدراسة لاحقا ثانياً.

المهم في الأمر أن هذه العوامل، التي دارت سطور هذا المحور حولـه، تعـد مـن الأسباب المباشرة المتعلقة بالكورد أنفسهم والتي وقفت حـائلا أمـام نجـاح الكـورد ورغبتهم في توحيـد صـفوفهم وتأسـيس دولـتهم القوميـة المـشروعة. وقبـل ختـام الموضوع لابد من الإشارة إلى انه ربما كان هناك سبب آخـر وراء عـدم قيـام دولـة كوردية متعلـق بـذات الكـورد إذ انهـم في مـرات عـدة امتنعـوا عـن عـدم تـولي شؤونهم السياسية والقبول بالآخر لهذه الإدارة. فانه لم يكن للكـورد دولـة مـستقلة بذاتها منذ العصور المتأخرة(١)، ودخلوا ضمن النفوذ العثماني التركـي والإيرانـي الفارسي بعد معركة جالديران سنة ١٥١٤ وقسمت كوردستان بـين هـاتين الـدولتين واستمر هذا الوضع والتقسيم حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى أي: لمدة تزيد عن الأربعة قرون ولم يروا أنفسهم في مقدمة دولة ما آنذاك، ماعدا أثناء حكم الأسـرة الزندية الكوردية لإيران ما بين سنوات(١٧٥٣-١٧٩٤)، وهي فترة قصيرة جداً.

ولا نقول بان هذه الأمة كانت تمر بمرحلة وكانت ثقتها بنفسها فيهـا قليلـة لان الأمة الكوردية شهدت أكثر من غيرها ثورات وانتفاضات وحركات عديدة، حتـى

(١) أي منذ عهد صلاح الدين الأيوبي الذي حكم اغلب أملاك الدولة العباسـية أواخـر القـرن الثاني عشر الميلادي.

شاع المثل بينهم وفي المنطقة، بأن:" قدر الكوردي أن يحمل ألف حسرة، ويذرف ألف دمعة، ويطلق ألف ثورة، ويشعل ألف أمل"(١). إلا انه بالإمكان القول بان هذا الحكم الطويل لقوميات أخرى عليهم، جعلتهم غالباً ما يقدمون الأجنبي والغريب على ابن جلدتهم لتسيير أمورهم وخاصة السياسية، وتظهر هذه الملاحظة بشكل واضح في كوردستان تركيا بعد الحرب العالمية الأولى عندما اندفعوا وراء (مصطفى كمال أتاتورك) في تشكيل تركيا الحديثة. صحيح كانت هناك قوميات أخرى، خاصة في الدولة العثمانية كان يحكمها الأتراك ولنفس هذه الفترة مثل العرب والأرمن إلا أنهم حصلوا على استقلالهم، وان ما رجحت كفة هؤلاء ولاسيما العرب- لان الأرمن كانوا مدعومين سابقاً من روسيا وسيأتي الحديث عنهم لاحقا- هو كثرة عددهم، أي: عدد العرب ولسعة أراضيهم مقارنة بالكورد، فضلا عن بعدهم نسبياً عن الأراضي التي تحسب للأتراك في الأناضول الغربية عكس أراضي الكورد وحدود بلادهم كوردستان التي تحاذي الأراضي التركية وتتداخل معها، وهم، أي: الكورد اقرب القوميات المسلمة إلى استانبول عاصمة الدولة العثمانية آنذاك.

(١) مقتبس من: جوناثان راندل، المصدر السابق، ص٢٣.

ثانياً: الأسباب الموضوعية (الموقعية).

١- الموقع الجيوبوليتكي لكوردستان.

٢- جبال كوردستان.

٣- الأرمن.

ثانيا– الأسباب الموضوعية (الموقعية):

١– الموقع الجيوبوليتكي لكوردستان:

كان لموقع كوردستان الجيو سياسي تأثيره الواضح والمباشر في تحديد المستقبل السياسي للكورد، ولا يمكن عده ضمن الأسباب غير المباشرة التي أثرت في مستقبل الكورد السياسي، وذلك لأنها شملت منطقة حساسة منذ القدم حتى الآن، بل إنها مثلت في مرات عدة مقياس القوة في المنطقة، بعبارة أخرى: إن من يسيطر عليها يعد هو الأقوى.

تقع كوردستان في قلب الشرق الأوسط(١)، بل هي أعظُم الشرق الفقري الأوسط، وهي تؤلف القسم الأعظم من الجبال الممتدة من البحر الأسود حتى الخليج الفارسي(العربي) وتضم السهول الخصبة غرباً(٢). وان عبقرية وعظمة هذا

(١) الشرق الأوسط: إن مصطلح الشرق الأوسط ليس بالقديم نسبياً حيث يعود أول استعمال وانتشار له في العالم إلى بداية القرن العشرين. استعمله لأول مرة الكابتن الفريد ماهان عام ١٩٠٣. وتمتد منطقة الشرق الأوسط من: أفغانستان شرقاً إلى مصر غرباً، ومن تركيا شمالاً إلى اليمن والبحر العربي جنوباً. ينظر: جورج لينشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة: جعفر الخياط، ج١، بغداد، ١٩٦٤، ص١٣- ٦٨.

(٢) يوسف ملك، كردستان أو بلاد الأكراد، مراجعة ومقدمة: عز الدين مصطفى رسول، ط٢، السليمانية، ٢٠٠٦،ص٤٤.

الموقع جعلته في حالات كثيرة الموجه الأول للتاريخ(١). فقد جعلت من كوردستان مكاناً لأطماع قوى محلية ودولية طوال تاريخها القديم والحديث، وكأن هناك صراعاً مصيرياً بين الجغرافية في طابعها الكوردي والتاريخ الذي يحمل أسماء غزاة ينتمون إلى أقوام شتى، ومن جهات الأرض الأربع. وكوردستان بموقعها هذا أضحت عبر العصور ساحة صراع واسعة بين جهات متخاصمة من جنسيات مختلفة، حيث كان أبناؤها مشاركين فيها تارة، أو ضحايا لها تارة أخرى، ورغماً عنهم(٢).

حتم الموقع الجغرافي في التاريخ الحديث على الكورد وقوعهم بين ثلاث قوميات (التركية،الفارسية والعربية)" إذْ احتلت كل منهم جزءاً من كوردستان واتبعوا سياسات متشابهة ضد الكورد أثرت في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهم. بحيث يمكن القول انه في بداية القرن العشرين كان الكورد كأمة في حالة متخلفة جداً و تطاردهم السمعة السيئة أينما كانوا وحلوا.

والبداية بدأت من معركة جالديران ١٥١٤ وهي المعركة التي حدثت في سهل جالديران بكوردستان الشمالية-التركية- والتي تمكنت فيها الدولة العثمانية السنية- التي انحاز إليها اغلب الكورد لتدينهم كذلك بالمذهب السني- من احتلال حوالي ثلاثة أرباع كوردستان، وطردت الصفويين منها، وبالتالي قسمت كوردستان بُعَيْدة هذه المعركة بين الدولة العثمانية (التركية) التي حصلت على القسم الأكبر منها، وبين الدولة الصفوية (الفارسية) التي حصلت على الأقسام الشرقية من كوردستان.

و من الآثار السلبية لهذه المعركة على الكورد فضلاً عن احتلال معظم أراضيهم هو:

(١) إبراهيم محمود، صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج، بيروت، ١٩٩٢، ص١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥- ١٦.

١-انقسام المجتمع الكوردي وفرض عليهم حدود مصطنعة أثرت فيهم كثيراً، خاصة إذا ما علمنا ان المجتمع الكوردي آنذاك كان في اغلبه يمارس الرعي فيهاجرون بسبب ذلك إلى الشمال في فترات الصيف ويرجعون إلى الجنوب عندما يحل الشتاء.

٢- شتت الانقسام والاحتلال المارن الفكر الكوردي بين دولتين، فوجب عليهم النضال ضد دولتين قويتين للحصول على حقوقهم القومية وليس ضد دولة واحدة.

٣- وكان التأثير الكبير في كوردستان بعد هذه المعركة هو تحولها إلى ساحة للقتال بين هاتين الدولتين لمدة أربعة قرون وصار الكورد مع كل ما يملكونه وقوداً لها.

لقد اتبعت كلتا الدولتين العثمانية والإيرانية عدة سياسات تجاه الكورد، منها: سياسة الترحيل، والتهجير القسري وسياسة النهب الاقتصادي لموارد كوردستان، إلا أن أشد هذه السياسات وطأة على الكورد والتي أحدثت شرخاً واضحاً في المجتمع الكوردي هي سياسة (فرق تسد) والحقيقة أن اكبر مصيبة يمكن أن تحل في تاريخ امة ما أن تصبح هدفاً لسياسية فرق تسد، وذلك لان هذه السياسية تقطع أوصال المجتمع وتدمر كيان الأمة، فالشعب الذي تطبق عليه هذه السياسة لن يكون في معظم الحالات في وضع يسمح له بإعادة تكوين ذاته، فكوردستان ومجتمعها اكبر برهان على آثار هذه السياسة، ولم يفق منها الشعب الكوردي إلى الوقت الحاضر(١). ويذكر (اسماعيل بشكجي) بأن سياسة فرق-تسد التقليدية قد تحولت في كوردستان إلى سياسة(فرق تسد ودمر) أما ما يدمر فقد طال أولاً الخصائص القومية للكورد، أي حقهم في أن يكون لهم مجتمعاً كوردياً، أي إن الذي سيدمر هي الهوية الكوردية وهوية كوردستان، وهما اللتان تمثلان

(١) إسماعيل بيشيكجي، كردستان مستعمرة دولية، ترجمة: زهير عبد الملك، سويد، ١٩٩٨،ص٤١.

الخصائص والقيم القومية للكورد(١). وخير مثال على هذه السياسية تظهر على الإمارة البابانية التي كانت آخر الإمارات الكوردية سقوطاً في الدولة العثمانية سنة ١٨٥١(٢).

ومن السياسات الأخرى التي تبعتها الدولة العثمانية والتي كانت منعرجاً في تاريخ الكورد الحديث هو إنهاؤها حكم الإمارات الإقطاعية الكوردية في حوالي منتصف القرن التاسع عشر. فبعد ضغط الدول الكبرى آنذاك المتواصل عليها عسكرياً على حدودها الغربية-منطقة البلقان- والضغط السياسي عليها بوجوب القيام بإصلاحات جذرية في الدولة العثمانية بهدف حماية مصالح المسيحيين فيها(٣)، أدى هذا الضغط الغربي بالدولة العثمانية إلى تغيير وجهتها، ولسوء الحظ وجهت الآتها العسكرية شرقاً والتي تمركزت في غالبيتها بكوردستان لئلا تخسر الدولة العثمانية مزيداً من الأراضي والشعوب(٤). وكانت البداية الأولى لهذا الإصلاح هي إعادة المركزية إلى البلاد-كما مر سابقا- والتي وان دامت حتى احدى هذه الإمارات لكانت تفرق بشكل جذري القضية القومية الكوردية مستقبلاً. وبعد ذلك أهملت كوردستان كلياً حتى أضحت في بداية القرن العشرين تفتقد إلى الأمن والأمان، وإلى المستشفيات والمدارس حتى أصبح كلمة الجاهل

(١) المصدر نفسه، ص٤٩.

(٢) للمزيد عن هذه السياسة، ينظر: سعدي عثمان حسين، كوردستان والإمبراطورية العثمانية: دراسة في تطورها السياسي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين- اربيل، ١٩٩٥، ص٦٣- ٧٨.

(٣) عبد الرحمن قاسملو، كردستان والأكراد: دراسة سياسية واقتصادية، بيروت، ١٩٧٠، ص٤٧.

(٤) مثلاً استقلت اليونان بدعم الدول الأوربية سنة ١٨٣٠ عن الدولة العثمانية، ينظر:هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق،ص١٢٥- ١٣١.

مرادفاً للكوردي(١). وان مما زاد الطين بلة هو قيام السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩) بإنشاء فرق غير نظامية من الكورد سماها (الفرق أو الفرسان الحميدية) تيمناً بإسمه والتي عاثت بدورها فساداً في كوردستان وكان لها دور كبير في المذابح الأرمنية التي حصلت بين(١٨٩٤-١٨٩٦) و (١٩١٥-١٩١٦) ولطخت أيدي الكورد بدماء الأرمن- كما سيأتي تفصيله لاحقاً- فمثلاً نشرت جريدة كوردستان في عددها الثالث عشر الصادر في جنيف بتاريخ ٢ نيسان ١٨٩٩ رسالة جاءت إلى رئيس تحريرها من ديار بكر ذكر فيها عن أوضاع كوردستان ما يلي:"... إن القرية التي كان يوجد فيها مئة عائلة أيام حكم بدرخان، لا يوجد فيها الآن إلا عشرون عائلة". وفي موضع آخر من هذه الجريدة، التي عبرت عن الصوت الكوردي آنذاك، وضمن رسالة وصلت أيضاً إلى صاحب الجريدة من ديار بكر رمز إلى اسمه بالحرفين(ش.م) قال فيها للسلطان عبد الحميد:" لماذا لا تخرج من القصر وتكتفي بتشييد المساجد حولك؟ وأينما وجدت صعلوكاً تقدمه؟... وستجد كوردستان وكأن جنكيز خان وتيمور قد مرا منها، وكأن زلزالاً قد دمر البيوت وهدم العمران، وسترى الأطفال الجياع العراة يبكون بين الأشجار والصخور... إن حقوق هؤلاء أمانة في عنقك"(٢). وقد ذكر(بله ج

(١) يذكر لازاريف بهذا الصدد:" ظروف الحياة الصعبة الغريبة التي كان فيها أكراد الإمبراطورية العثمانية وإيران وروسيا خلال الفترة موضوع هذا البحث- أي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين- والبنية الاجتماعية المختلفة لهم وانخفاض مستواهم الثقافي. إن هذا كله ساعد في أن تنتشر عنهم في الشرق الأوسط وأوربا اشد الأفكار إساءة من قبل أنهم شعب همجي موجود خارج الحضارة وبلا تاريخ ولا يملك أية أفاق للحضارة في المستقبل. وتستخدم كلمة (كوردي) في بعض المناطق بمعنى (جاهل) و(جلف) و(متوحش)".ينظر: المصدر السابق، ص٧٤.

(٢) للتفاصيل عن صاحبي جريدة كوردستان (مقداد مدحت وعبد الرحمن بدرخان) وموقفاهما إزاء الأحداث التي عصفت بالكورد آنذاك وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني

شيركو) بهذا الصدد، ما يلي:" وقد أثبتت المباحث التاريخية أن كوردستان، قبل اتصاله بالأتراك العثمانيين كان أحسن حالاً وأكثر رقياً من كوردستان الحالي، تحت نير الترك الذين لا يعترفون بشيء من حق الحياة الطبيعية للكورد وكوردستان... كانت كوردستان منذ أربعة عصور أرقى منه الآن من عدة جهات..." (١).

المهم في الأمر هو أن الدولة العثمانية لم تغير من سياستها تجاه الكورد حتى بعد انقلاب تموز ١٩٠٨ بل زادت هذه السياسة قساوةً وعنفاً خاصة خلال الحرب العالمية الأولى(٢)، واستغل(مصطفى كمال أتاتورك) بعد ذلك الشعور الديني للكورد وأسس بمساعدتهم القوية الدولة التركية الحديث ثم قمعهم بوحشية تامة كما تصفها المصادر والوثائق التاريخية المتصلة بتلك المدة وخاصة حركة الشيخ سعيد پيران ١٩٢٥. وقد أعطى ارمسترونغ- أحدى المتابعين للشؤون الكوردية آنذاك- لوحة مميزة للغاية عن التنكيل بالسكان الكورد، من قبل قوات مصطفى كمال عقب القضاء على حركة سعيد پيران ١٩٢٥، حين كتب يقول:" أصبحت كوردستان خالية بالحديد والنار: عذبوا الرجال وأعدموهم، وحرقوا القرى، وجعلوا الحقول مقفرة، وساقوا النساء والأطفال وقتلوهم. وعندما انتقم الأتراك من الكورد أقاموا مذابح لم تكن اقل هَوْلاً من حيث شراستها وتعطشها للدماء من تلك المذابح التي دبرها الأتراك في عهد السلطان، عندما قتلوا اليونانيين والعرب

=تجاههم أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ينظر: كوردستان يەكەمين روژنامەی كوردی ١٨٩٨- ١٩٠٢، كوكردنەوە وپێشەكی: كەمال فوئاد، بغداد، ١٩٧٢" هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة...،ص٦٧- ١٤٠.

(١) ينظر، مؤلفه: القضية الكردية: ماضي الكرد وحاضرهم، بيروت، ١٩٨٦، ص٤٤- ٤٥.

(٢) عن أوضاع الكورد وبلادهم كوردستان خلال الحرب العالمية الأولى، ينظر: كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط٢، بغداد، ١٩٨٤، ص١٣٠- ٢٣٥.

والبلغار... وبقرار المحاكم علق الكورد على أعواد المشانق، وجرى نفيهم وزجهم في غياهب السجون بسرعة كبيرة"(١).

ولا حاجة هنا إلى ذكر تفاصيل هذه السياسات التي لم تغفل الكتب والوثائق التاريخية عن إيراد تفاصيل دقيقة عنها(٢). المهم هنا هو أن الدولتين العثمانية والإيرانية بدل من الاهتمام بكوردستان وبأهلها الكورد باعتبارهم رعاياها أخذت تدمر كيان البلد في اغلب جوانبه وجعلها ساحة للنهب الاقتصادي وإهدار دم أبناء كوردستان في اغلب بقاعها.

أما العرب فدخلوا ضمن القوميات التي احتلت جزءاً من كوردستان وألحقت بالعراق وسوريا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. إن إلحاق ولاية الموصل(كوردستان الجنوبية) بالعراق العربي جاء بتخطيط ودعم بريطاني قوي، بل كانت بريطانيا هي من قامت بكل شيء لمصالحها الشخصية في قضية الموصل، كما أن إلحاق ولاية الموصل بالعراق كان مطلباً عربياً أيضاً وذلك لزيادة نسبة السكان السنة في العراق(٣). -سنأتي إلى هذا الموضوع لاحقا- المهم في الأمر هو أن العرب قاموا بإداء نفس الدور الذي قام به الترك والفرس خلال أربعة قرون تجاه الكورد بعد سنة ١٩٢٥، وهي السنة التي تم إلحاق كوردستان الجنوبية وبقرار دولي بالعراق وربما كان العرب أكثر مرونة من الأتراك والفرس تجاه الكورد في بداية عهدهم لحكم كوردستان الجنوبية حتى الحرب العالمية الثانية، وذلك لان العرب كانوا حديثي العهد بحكم كوردستان وكلما تقدم الزمن أصبحوا يسلكون

(١) نقلاً عن: جليلي جليل، م.س.لازاريف وآخرون، المصدر السابق،ص١٤٩- ١٥٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٩- ٩٤" جليلي جليل، م.س.لازاريف وآخرون، المصدر السابق،ص٢٧.

(٣) ينظر: روبرت اولسن، المسألة الكردية في العلاقات التركية الإيرانية، ترجمة وتقديم:محمد إحسان رمضان، اربيل، ٢٠٠١، ص١٧- ١٨.

نفس السياسة التركية الفارسية تجاه الكورد بل اشتدت ضراوةً في مرات عدة، ودخل العرب أيضاً في طريق تهميش هذه القومية وعدم الاعتراف بحقوقها المشروعة.

وهنا يظهر التأثير الواضح لموقع كوردستان ووقوعها في الشرق الأوسط وبين قوميات ثلاثة لا تعترف بالآخر ضمن حدودها السياسية المصطنعة، زيادة على تمتع كوردستان بثروات اقتصادية جمة تأتي في مقدمها فضلاً عن المعادن (الماء والنفط) والتي كانت وبالاً عليها، بل ان هناك من المؤرخين والباحثين من يذكرون بأن النفط وحده هو الذي قرر مصير كوردستان(١).

٢- جبال كوردستان:

عند دراسة المجتمع الكوردي الحديث وحركته القومية يتبارد إلى الذهن سؤال مفاده، وهو: ما هو اثر وتأثير تضاريس كوردستان على حركة أبنائه القومية؟ أو هو اثر جبال كوردستان على الكورد؟ لان الصفة التي تتميز بها تضاريس كوردستان هي جبالها. فهل كانت هذه الجبال عائقاً في توحيد الكورد لكثرتها ووعورتها الشديدة، وبالتالي عدم تمكنهم من تأسيس دولتهم؟ أو هل هناك جانباً صغيراً من هذا الاعتقاد صحيح، وان الجبال فعلت للكورد كقومية ما لم يفعله الكورد لأنفسهم.

صحيح أن الجبال كان دورها ووجودها سلبياً في عدة أمور بخصوص هذا الشأن، منها على سبيل المثال: أنها فرقت بين المجموعات الكوردية المنتشرة في كوردستان وجعلت من عملية الاتصال فيما بينهم أمراً صعباً، مما أدى إلى ظهور

(١) ينظر، مثلاً: المصدر نفسه، ص١٧.

لهجات كوردية عدة، وان كانت في الأصل تنقسم اللغة الكوردية إلى بضع لهجات، هذا من جهة، والى اتصال الكورد وخاصة الذين يسكنون في أطراف كوردستان بالقوميات الأخرى أكثر من الاتصال ببعضهم، من جهة ثانية، فعلى سبيل المثال كان اتصال كركوك ببغداد أكثر منها بالسليمانية في أوائل القرن العشرين وكذلك اتصال اربيل ودهوك بالموصل، وديار بكر بحلب وهكذا. وأدى هذا الأمر إلى انعزال بعض الجماعات الكوردية في الداخل وربط البعض الآخر بأبناء قوميات أُخر كالترك والفرس والعرب أكثر من ربط بعضهم بالبعض.

ولكن على الرغم من ذلك، يمكن القول بأن ما أسدته هذه الجبال للكورد لم يكن بالشيء الهين، فهي التي اختارها الكورد منذ القديم لتكون مسكناً وموطناً لهم واختارت هي الكورد ليعشوا في هذه الجبال وكهوفها ووديانها. فقد عدت هذه الجبال الحافظة الرئيسية والأولى لهذه القومية، فلولا هذه الجبال ربما كانت امة الكورد قد أبيدت وطواها التاريخ ونساها مثل العديد من الأمم الأخرى الغابرة، نتيجة الهجمات الشرسة والمستمرة عليها بدءاً من التاريخ القديم وهجرات القبائل الهندوأوروبية إلى العهد الإسلامي وهجمات المغول والتتار إلى الحروب المستمرة على أراضيها التي خاضتها الدولتين العثمانية والإيرانية في تاريخها الحديث، والهجمات العنيفة عليهم وسياسة الترحيل والتهجير ضدهم التي مارستها الحكومات المحتلة لكوردستان ومحاولتهم فرض لغات أخرى على الكورد ومنعهم من التكلم بلغتهم. وعلى الرغم من كل ذلك فان نظرة أولى لسكان هذه الجبال تظهر بأن سكانها هم دائماً وابداً من الكورد ويتحدثون بهذه اللغة المحببة إليهم أي: اللغة الكوردية. بل إن أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا الأمريكية (ويليام لين ويستيرمان) أكد في حوالي منتصف القرن العشرين، بأنه:" بإمكان الكورد ادعاء أنهم حافظوا على نقاء عرقهم، وحافظوا على السمات الرئيسية لثقافتهم لمدة زمنية أطول مما فعله أي شعب يعيش في أوربا اليوم"(١).

(١) نقلاً عن: جوناثان راندل، المصدر السابق، ص٣٤.

وبهذا الصدد، يقول (إبراهيم محمود):"...لا بد أن يدرك إلى أي مدى كان الكوردي كائناً فيها – أي في كوردستان وبين جبالها- تعرّف به، رغم كل ما ارتكب فيها من مجازر وسفك دماء قديماً وحديثاً. لكنه لم ينسلخ عنها، كما أنها لم تنفصل عنه. وبوسع أي كان أن يسأل عن ذلك جبال:جودي، واگرى، وبيري مكنون،وبشتكو وهركول،وحمرين،وزوزان،وسيبان... وعشرات السلاسل الجبلية الأخرى. فكل جبل قصة قائمة بذاتها، لا نعرف بدايتها، أما النهاية فلم تنته، ولا يمكن لها أن تنتهي مادام هناك أعداء ومزورو تاريخ، يبتغون تجريد(كوردستان) من(كوردستانيتها)..اسأل (جودي) مثلاً عن بداية تاريخ الخليقة. يُجبْك الكثيرون باسمه عن قصة الطوفان... واسأل (اكري) عن مغزاه، يُجبْك عن انتفاضة الكورد، ورفضهم للغزاة والمستعبدين... وبوسعك أيضاً أن تسأل (سيبان) عن قصة (سيامند وخجى) المشهورة..." (١). ويقول في موضع آخر:"وفوق كل هذا وذاك فإن كل هاتيك الجبال شكلت من جهة موانع، تحمي كوردستان من جهة، وما تزال تشكل قوة لأبنائها في الدفاع عن وجودهم من جهة أخرى. فالجبل والنار توأمان بالنسبة للكوردي الجبل معطفه الذي يخفيه عن الأنظار، والنار علامة انتمائه للجبل، وسر قوته، وكل من يحاول دراسة نفسية الإنسان الكوردي، مهملاً ما للجبل والنار من تأثير فيها، فلن يكون لدراسته أي معنى" لأنه بهذا الشكل يكون قد أهمل أكثر ما يميزه عن الآخرين ويعرف به"(٢).

وعلى هذا الأساس يظهر مدى حب الكورد لهذه الجبال وشدة تعلقها– أي الجبال - بالكورد وانه نشأت علاقة حميمة بين الطرفين(٣). بأن الكورد والجبال لا

(١) المصدر السابق، ص٢٠- ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١.

(٣) يقول ڤ. ف. مينورسكي بهذا الشأن:" تظهر حيوية الفكر الكردي... في حبه لطبيعة

يفترقان، بل كلما بدأت السهول يترك الكورد الأرض للعرب والأتراك والفرس، وقرب بحيرة وان للأرمن(١). ويذكر(ديفيد مكدول) بأن الكورد يمتازون بنظرة صوفية للجبل(٢).

وأخيراً إذا كان: العرق، أو اللغة، أو التاريخ هو المؤشر الأول والحقيقي التي تمثل القوميات في الفكر القومي الحديث –كما جاء الحديث عنه في المدخل- فبالنسبة للكورد فإن المؤشر الأقوى لهذه القومية- فضلاً عن قوة العوامل الأخرى عندهم- هو الجبل الذي لا يمكن فصله أو تجاهله بأي شكل كان عن دراسة واقع هذه القومية التي احتضنتها هذه الجبال وحافظة على أصولها ونقاوتها ولغتها وأكثر عاداتها. ولذلك حق لكل من(هارفي موريس،جون بلوج)و(تورد فالستروم) على تسمية مؤلفاهما(لا أصدقاء سوى الجبال) و(ليس لنا من أصدقاء غير الجبال) على التوالي،بخصوص الكورد وتاريخهم(٣)، لأنه ثبت تاريخياً انه لا أصدقاء للكورد سوى هذه الجبال، وهو مثل شائع في الأوساط الكوردية.

=كردستان، هذه الأرض هي بلاد الطبيعة في نظر الجغرافي، لا توجد صخرة، أو واد، أو شجرة منعزلة، إلا ولها أسم أياً كان، أو مقترنة بأسطورة". ينظر: المصدر السابق،ص٩٩.

(١)، المصدر نفسه، ص٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) لقد تم الإشارة فيما سبق إلى اسم المؤلف والعنوان الكامل ومكان وسنة الطبع لمؤلف هارفي موريس وجون بلوج. أما تورد ڤالستروم صاحب كتاب (ليس لنا من أصدقاء غير الجبال) فقد ترجمه إلى العربية (عبد السلام نعمان)، وطبع في دهوك بتاريخ ١٩٩٨.

٣-الأرمن:

عاش الكورد والأرمن لقرون طويلة من الزمن معاً، بل يعتقد أنهم يشكلون وحدهم أقدم شعوب المنطقة وتداخلت أراضيهم وقراهم خاصة في كوردستان الشمالية على حدودها الشرقية، إلا انه بعد ظهور الفكرة القومية الحديثة وانتشارها بين الأرمن قبل الكورد والتفوق الاقتصادي الأرمني على الكورد، ودخول الدول الكبرى خاصة روسيا وبريطانيا في شؤون المنطقة وسوء نية الدولة العثمانية تجاه الأرمن خاصة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كل هذا أدى إلى ظهور مشكلة في المنطقة سميت بـ(المشكلة الارمنية) التي حدثت خلالها مذابح لإبادة الأرمن وتصفيتهم خاصة على حدود الدولة العثمانية الشرقية والتي تمثل الآن مناطق كوردستان الشمالية، وكانت أكثر المجازر دموية هي التي حدثت بين عامي ١٨٩٤- ١٨٩٦، وعامي ١٩١٥- ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى.

إن أسباب هذه المشكلة وتفاصيل أحداثها، لا يقعان ضمن إطار حدود موضوعنا هذا، كما انه لم تبخل المصادر التاريخية في تدوين أدق تفاصيل هذه المشكلة، ولكن المهم هنا كيف كان تأثير هذه المشكلة في الكورد دولياً وإعلامياً آنذاك والى أي حدٍ اثر على المستقبل السياسي للكورد؟

ومن خلال الإطلاع على أحداث المشكلة الارمنية وتفاصيلها يظهر بأنها جردت الكورد تماماً في الخارج من أي صديق أو أي تعاطف دولي، وذلك نتيجة للدعاية الارمنية في الخارج وبالتحديد في أوربا التي أحرجت الكورد كثيراً وأخرجتهم من دائرة الإنسانية وأدخلتهم في دائرة الوحوش والبرابرة والجهلة، وساعد الأرمن في دعايتهم هذه المبشرون المسيحيون والقنصليات الأجنبية في

الدولة العثمانية، فضلاً عن أن الدولة العثمانية نفسها تبرأت من الموقف في مرات عدة وألقت بالمسؤولية على الكورد.

وهناك أمثلة عدة على هذه الدعاية التي ضرّت الكورد كثيراً وخصوصاً سمعتهم، أوردها الكورد أنفسهم، وأولها تظهر على صفحات جريدة كوردستان الأولى ١٨٩٨-١٩٠٢ وبالتحديد عندما كان عبد الرحمن بدرخان رئيساً لها، والذي يعد من أحسن من حلل أسباب هذه المشكلة على صفحات جريدة كوردستان وخاصة في الأعداد التسعة الأخيرة منها، وذلك لان عبد الرحمن بدرخان قد عاصر هذه الأحداث أولاً ثم انه كان في أوربا عند قيام الأرمن بهذه الدعاية واختلط معهم وقرأ صحفهم والصحف الأوربية التي تعني بهذه المشكلة آنذاك، فمثلاً عندما يتحدث عبد الرحمن عن أسباب هذه المشكلة. وتتمثل أولاً بالدولة العثمانية التي أسست الفرق الحميدية من الكورد لضرب الأرمن، وثانياً بالأرمن أنفسهم والدول الكبرى والتبشير المسيحي يلخص عبد الرحمن بدرخان أسباب هذه المشكلة بهذا الشكل. وعندما يتحدث عن الأرمن يقول:"رغم أني اعرف دوافع الأرمن...دوافع الأرمن واضحة ومكشوفة، في نية الأرمن بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية أن يجعلوا ارض كوردستان الطاهرة مرتعاً وموطناً لهم. ومن اجل تحقيق تلك الأهداف بدأوا بتحركات في أوربا...". بل إن عبد الرحمن بدرخان وعند دراسته لهذا الموضوع على صدر صفحات جريدته كوردستان يوبخ الكورد المشتركين في هذه الأحداث وينعت الدولة العثمانية بصفات سيئة وبعاطفة قوية تظهر بأن عبد الرحمن بدرخان قد مر بأوقات عصيبة جراء الدعاية الارمنية وانه قد أحرج في مرات عدة عندما كان في أوربا(١).

(١) للتفاصيل عن أسباب المشكلة الارمنية كما تناولتها جريدة كوردستان ١٨٩٨- ١٩٠٢، ينظر: هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة...،ص١١٦- ١٢٢.

أما المثال الثاني فهو مقال لـ (باب ناجو) (١)حمل عنوان(فاعتبروا يا أولي الأبصار) نشرته مجلة هتاوى كورد في عددها الثاني الصادر في استانبول بتاريخ ٤كانون الأول ١٩١٣(٢)، والمقال في معظمه مقسم إلى قسمين،القسم الأول: يذكر (باب ناجو) من خلاله الكورد بدور الشخصية الارمنية (خجاتورآبوويان) ومدى التضحيات التي قدمها لشعبه الأرمن. أما القسم الثاني، وهو المتعلق بهذا الموضوع، فهو نقد لشخصية ارمنية يدعى(ارشاق جوبانيان) وهو كاتب ارمني، كما يقول(باب ناجو)، وانه ألقى محاضرات عن الأرمن والكورد في سويسرا، وان هذه المحاضرات جمعت فيما بعد وطبعت على شكل رسالة في حزيران١٩١٣ بسويسرا وحملت هذه الرسالة اسم (ماضي ومستقبل التربية الاجتماعية للأمة الارمنية)، ومضمون هذا الكتاب أو الرسالة كما هو مبين في المقال هو عن واقع التعليم الارمني في الدولة العثمانية العالي جداً، وواقع التعليم الكوردي الواطيء جداً. واغلب أفكار هذا القسم من مقال(باب ناجو) هو الرد على ما جاء في هذه الرسالة التي تحاول إظهار الكورد بمظهر الجاهل والمتخلف، وفي معرض هذا الرد مثلاً يقول:"إن جوبانيان افندي يتغافل عن أهالي بارس(٣) وينسى المدارس الموجودة في أطراف كوردستان والآلاف الطلبة الذين يدرسون فيها أو انه لا يعرف ذلك. وفي الأجزاء الداخلية من كوردستان أو حتى في القرى التي يعيش فيها الأرمن سوية مع الكورد نستطيع أن نجد عدداً كبيراً من المدارس..." (٤).

(١) باب ناجو هو نفسه خليل خيالي.كما مر سابقاً.

(٢) إن الأعداد التي تم العثور عليها من مجلة هتاوى كورد، هي الأعداد (٤،٢،١-٥ في عدد واحد،١٠) وهي بحوزة السادة عبد الله زەنگەنه ورفيق صالح وصديق صالح. وقد زودوني بهذه الأعداد الأربعة مشكورين.

(٣) هكذا وردت اللفظة في النص المكتوب باللغة العثمانية التركية، واغلب الظن أن كاتب المقال يقصد بها مدينة باريس عاصمة فرنسا.

(٤) للمزيد عن مجلة هتاوى كورد، استانبول ١٩١٣- ١٩١٤ وهذا المقال، ينظر: هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة...،ص١٩٠- ٢٠٤.

ويستمر(باب ناجو) على هذا المنوال وينصح الكورد بالتعلم وفتح المدارس.

يظهر من هذا المقال بأن الدعاية الارمنية كانت ما تزال مستمرة ضد الكورد في أوربا فقد كان عبد الرحمن بدرخان تحدث عنها على صفحات جريدته ما بين سنوات ١٨٩٨-١٩٠٢-كما مر- وهذا هو(باب ناجو)يتحدث عنها سنة ١٩١٣ ويبين للكورد آثارها.

والمثال الثالث والأخير هنا، وليس الآخر، هو ما جاء في مذكرات(زنار سلوبي) عندما كان متواجداً في مدينة لوزان السويسرية وكان عضواً في فرع جمعية هيڤى للطلبة الكورد هناك سنة١٩١٣، وقد ذكر زنار سلوبي بهذا الخصوص، في قصة مطولة(١)، ما يلي:"...في لوزان وفي اليوم الذي سكنت فيه البانسيون، وأثناء تناول الغداء مع طلبة المدرسة من مختلف الشعوب، توجهت صاحبة البانسيون السيدة(×) إليّ قائلة: باعتبار المسيو من استانبول، فهو لا بد أن يكون تركياً أو يونانياً. فجاوبتها آنئذٍ بلغتي الفرنسية الضعيفة بأنني لست تركياً ولا يونانياً. عندها سألتني ثانية: إذن من أية قومية أنت؟ وحينما أجبتها: بأنني كوردي. نظرت نحوي هي ومن كان يجلس معها حول المائدة مندهشين، وكأنهم سمعوا شيئاً غير اعتيادي. وبالطبع أحرجت، واكتنفني شعور من الأسف الشديد لعدم معرفتهم حتى بوجود شعبي. ولحسن الحظ كان يجلس معنا على نفس المائدة طالبان من روسيا، أبديا مساعدتهما، وشرعا بالحديث عن الكورد وكوردستان. وفي اليوم الثاني -بعد تناول طعام الإفطار وبينما كنت اجلس في القاعة- بادرتني صاحبة البانسيون بالسؤال ثانية، قائلة: تقول بأنك كوردي، ولكن أين وطنك؟ عندها بسطت الخارطة الموجودة في القاعة، وأشرت لها إلى مدينة ديار بكر الواقعة على المساحة التي تخترقها الأحرف الكبيرة لكلمة

(١) تم اقتباس هذا النص المطول بعض الشيء من مذكرات زنار سلوبي، وذلك لدخوله في صلب الموضوع ولإيصال الفكرة بصورة أوضح.

كوردستان، وقلت: إن اصلي من هنا. وكانت السيدة صاحبة البانسيون قد أخبرت السيد جاك صاحب جريدة(جاريت دي لوزان) عن وجود طالب كوردي الأصل في بانسيونها الداخلية. وكان السيد جاك قد عبر لها عن شكوكه في إمكانية الالتقاء بكوردي ما في المنتديات الأوربية، لأنه كان قد وقع تحت تأثير الدعاية المضادة للكورد، والتي روجها لفترة طويلة عدد من الأرمن لأهداف سياسية. ولما كانت المعلومات التي يعرفها عن الكورد، تعطي انطباعاً عنهم وكأنهم وحوش جبلية دفعته فضوليته للمجيء لمشاهدتي. لكنه حينما شاهد سيداً مهندماً، ولا يختلف عنه بشيء أدرك انه ضلل بدعاية مغرضة. وقد صرح السيد جاك حينها بأن الافتراءات والدعايات السياسية التي يشيعها عدد من الأرمن لا تملك أية صلة بالواقع. ولإظهار هذه الحقيقة أورد المثال التالي: عشية حرب سنة ١٩١٤ قرأنا في الجرائد الصادرة في لوزان إعلاناً مفاده):إن احد المبشرين الدينيين الأمريكيين ممن عاشوا فترة طويلة بين الكورد، سيلقي محاضرات في إحدى الكنائس عن الكورد، بزي كوردي). لقد انتظرنا أنا وأكرم(١) على أحر من الجمر قدوم ذلك اليوم المعلن عنه، ويومها توجهنا إلى الكنيسة البروتستانتية، المكان المحدد لإلقاء المحاضرة. وفوجئنا فعلاً حينما شاهدنا المحاضر الذي يعرج قليلاً في مشيته يرتدي(الكم والكولوز)الكوردية، ويقف أمامنا على المنصة. لقد قدم نفسه بانگليزيه مكسرة بكونه مبشراً أمريكياً. وبدأ يتحدث حول الفترة الطويلة التي قضاها بين الكورد، الذين — حسب قوله- يعيشون كالوحوش في الجبال، ولا يعترفون بأية ديانة. ثم وصف الكورد بعد ذلك بصورة مقرفة، واخرج فجأة من تحت إبطه نسخة من كتاب الإنجيل، ثم صرخ قائلاً(لكي أتمكن من طبع نسخة من كتاب الرباني المقدس ونشره بين الكورد، لابد من المال...) ورجاهم مد يد المساعدة له لهذه الغاية. لقد كنا ننتظر من الأمريكي أن

(١) ويقصد به أخاه أكرم جميل باشا، فإنه من المعروف بأن الاسم الحقيقي لـ زنار سلوبي هو(قدري جميل باشا).

يفيدنا بمعلومات معززة عن الكورد، لكننا فوجئنا بعمل دعائي وقح، لأرمني متستر بقناع أمريكي. إننا لم نستطع آنذاك فضح ذلك الشخص السافل لضعف معرفتنا باللغة الفرنسية. لكننا لم نستطع أن نتركه دون أن نريح ضميرنا بتأنيبه وتوبيخه على الأقل. فانتظرناه عند الباب الخارجي للكنيسة إلى أن خرج. قلنا له: أليس عار عليك أن تصف الكورد بمثل هذه الكلمات البذيئة وتنعتهم بالوحوش؟ وهل يخفى عليك بأن أبناء الكورد يدرسون في استانبول وأوربا؟ واقل تأكيد... وجودنا نحن هنا في أوربا ! ثم وجه له أكرم تهديداً بلهجة صارمة. أما ذلك القزم الأعرج فقد قال مستغيثاً: (إنني ارمني جرحني أقرباؤكم هناك، أما انتم فاستلوا خناجركم واقتلوني هنا). فقلنا له: اذهب، هنا لم نعمل لك شيئاً، سنلتقي على جبال كوردستان"(١).

إن ما ذكره(زنار سلوبي) مما مرّ يبين مدى تأثير الدعاية الارمنية في أوربا على الكورد والى أي حد ثم تشويه سمعتهم، وللمرء أن يتصور بأن هذا الدعاية كلها كانت قبل أحداث الحرب العالمية الأولى، أي: قبل المذابح التي حدثت للأرمن في سنتي ١٩١٥-١٩١٦. وبعد انتهاء الحرب المارة، كيف كانت سمعتهم ومَنْ من القوى الكبرى كان صديقاً لهم أو حتى تربطهم بالشعب الكوردي مصلحة وليس بأرض الكورد؟ ولذلك وجد هذا الشعب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى نفسه مجرداً من الأصدقاء سواء أكان ذلك داخلياً أم خارجياً في زمن القوميات والتحرر والاستقلال. بل واستمرت الدعاية الارمنية حتى بعد ١٩٢٥ ضد الكورد، أي حتى بعد أن قسمت كوردستان بين خمس دول وشتت شعبها وفرض عليها لغات أخرى وأهملت كوردستان من جميع النواحي. وبهذا الصدد أيضاً يذكر (زنار سلوبي) بأنه بعد تأسيس خويبون سنة ١٩٢٧ في لبنان وبمساعدة ارمنية، اعترف ممثل الأرمن بضرورة وقف الدعاية الارمنية الموجهة ضد الكورد،

(١) المصدر السابق، ص٤٠- ٤٢.

والتي استمرت فترة طويلة نتيجة سوء التفاهم الذي ساد بين الشعبين، وبالتزام الأرمن بالدفاع عن القضية الكوردية في إصداراتهم، سواء ما يصدر منها في أوربا أو في الخارج(١).

المهم في الأمر هو أن الدعاية والإعلام الموجهين ضد الكورد حققا أغراضهما وآتت ثمارهما إذ أدتا دوراً سلبياً في التأثير على مستقبل الكورد السياسي سواء الذي بدأ بعد انهيار الإمارات الكوردية سنة ١٨٥١، أو الذي قاده الأرمن ضد الكورد أواخر القرن التاسع عشر حتى انتهاء الربع الأول من القرن العشرين. وفي نفس الوقت لم يدرك غالبية الكورد كأمة ماذا فعلت بهم هذه الدعاية؟ وكانوا بعيدين جداً عن ماهيتها(٢).

(١) المصدر نفسه، ص١١٦- ١١٧. ويشكك عبد الرحمن قاسملو في هذا الأمر- أي: تعاون حزب الطاشناق الارمني مع الكورد في خويبون ووقف الدعاية الارمنية ضدهم- ويفسر ذلك بأن المبعث من وراء هذا التعاون من الجانب الارمني هو انه لم يكونوا يستطيعون أن ينظموا أية حركة مسلحة داخل تركيا، ولهذا بدءوا يستغلون انتفاض الشعب الكوردي الموجه ضد تركيا التي يعدها الطاشناق عدوة لدودة. وفي الوقت نفسه عد الطاشناق أن تلك الحركة قد اندلعت في أرمينيا التركية لغرض تحرير تلك المنطقة من التحكم التركي. ينظر: المصدر السابق،ص٦٩-٧١.

(٢) لم تكن الخسائر الكوردية البشرية والمادية في كثير من المرات بأقل من الخسائر الارمنية فمثلاً قدرت المصادر بأن حوالي مليون ارمني مات وقتل في سنوات الحرب العالمية الأولى، وتقدر المصادر التاريخية بأن حوالي ٨٠٠٠٠٠ كوردي ايضاً مات في تلك المدة نفسها حوالي نصف مليون منهم كانوا مدنيين واغلبهم من النساء والأطفال. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق،ص١٨٨؛ بلهج شيركو، المصدر السابق، ص٧٢-٧٦ وص١٢٧- ١٣٩" محمد أمين زكي بك، المصدر السابق، القسم الثاني، ص٦٣-٧١.

ثالثاً– صراع القوى العظمى على الشرق الأوسط وكوردستان

تكمن إحدى اكبر الوقائع المأساوية في تاريخ الشرق الأوسط خلال الربع الأول من القرن العشرين في النظام السياسي الاستعماري الدولي الذي طبق على كوردستان، وهي واقعة مأساوية بكل ما في الكلمة من معنى، فقد نجمت عن يأس شعب لم يتقبل المصير الذي فرض عليه ومازال يرفض القبول بذلك المصير ويقاومه(١).

دخلت كوردستان ومنطقة الشرق الأوسط ضمن اهتمامات الدول العظمى وعلى رأسها بريطانيا وروسيا منذ بداية القرن الثامن عشر. ولفهم تصرفات هذه الدول أو بالأحْرَى سياساتها تجاه الكورد وخاصة في القرن التاسع عشر حتى بدء الحرب العالمية الأولى لا بد من معرفة الخطوط العامة لهذه السياسة، ومتى تم التخطيط لها؟ وكيف تغيرت؟ والبداية تبدأ من بريطانيا.

ترجع بداية اهتمام الانگليز بهذه المنطقة من الهند وفي حوالي النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كان الفرنسيون قد سبقوا الانگليز إلى الهند وأسسوا فيها شركات تجارية، وافتتحوا بعض مدنها، واستعمروها، إلا إن نتيجة ضغط الرأي العام الانگليزى على حكومته، بضرورة إيجاد وفتح أسواق جديدة لتجارتهم المتنامية. زاحم الانگليز الفرنسيين في الهند وبعد مناوشات واصطدامات عديدة تمكن الانگليز من الظفر بالهند، وعقد معاهدة باريس بين الطرفين ١٧٦٣ التي أنهت هذا الصراع لصالح الانگليز ومنذ تلك السنة وجدت قاعدة طريق الهند بين

(١) اسماعيل بيشيكجي، المصدر السابق، ص٥٤.

قواعد السياسة الانكليزيه العامة والثابتة(١).

وبعد ذلك دخلت منطقة الشرق الأوسط وكوردستان، والتي كانت تحكمها كل من الدولتين العثمانية والإيرانية ضمن اهتمامات هذه الدول، وأصبحت هذه المنطقة أماكن صراع بين الدول الكبرى آنذاك منذ بداية القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وكان الصراع في بدايته بين بريطانيا وفرنسا ثم دخلت روسيا على الخط، وأخيراً ألمانيا بحوالي العقد الثامن من القرن التاسع عشر، وقد غيَّر دخولها في هذا الصراع مجمل السياسة الدولية آنذاك والتي كانت تتبعها الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا لمدة تزيد على التسعين سنة تجاه هذه المنطقة.

ففي عام ١٧٩٨ غزت جيوش فرنسا بقيادة الجنرال نابليون بونابرت ارض مصر واحتلها ثم سار إلى سورية معتزماً وكما ادعى فيما بعد بأنه سيقصد(بابل) ويعبر منها إلى الهند، إلا أن خطته هذه أحبطت حين وقف جيشه عند أسوار عكا وتراجع، غير انه حاول إقناع حليفه قيصر روسيا(بوليس) بوضع الجيش الروسي في خدمة هذه الفكرة، التي فشلت وجلى الجيش الفرنسي عن مصر في ١٨٠٥(٢).

كان الرد البريطاني على هذا التهديد واضحاً، وهو دعم الأنظمة المحلية في الشرق ضد التوسع الأوربي، ولم تكن راغبة في السيطرة أو بسط نفوذها. بل ظلت تحاول طول القرن التاسع عشر منع الدول الأوربية من التسلل إليها وجعلها مناطق نفوذ. وخاضت في سبيل ذلك حروباً إلى جانب الدولة العثمانية كحرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٥ ووقفت أمام أطماع روسيا في الحروب التالية وكل قصدها

(١) للمزيد عن أهمية الهند بالنسبة لبريطانيا، ينظر: راشد طباره، الانتداب وروح السياسة الإنكليزية، بيروت، ١٩٢٥، ص٣٩- ٤٢" هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق، ص٣٣٨- ٣٤٩.

(٢) جرجيس فتح الله، يقظة الكرد...،ص٩٢.

المحافظة على الوضع الراهن، وباشرت من ضمن ما باشرته سياسة دعم ثابتة ومعاونة للدول المتداعية في الشرق الأوسط(١). وكان خصمها اللدود روسيا القيصرية التي كان همها الأول هو الوصول إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط وعبر المضايق التركية أو في الخليج الفارسي(العربي) وقد اقترح القيصر نقولا الأول(١٨٢٥-١٨٥٥) على بريطانيا فعلياً تقسيم الدولة العثمانية وادعى حماية المسيحيين الارثودوكس فيها(٢)، إلا أن بريطانيا رفضت هذا المقترح وظلت منشغلة طوال القرن التاسع عشر وكأن لا عمل لها إلا رصد تحركات الروس وإحباط خططهم. وقد أنجبت في خضم هذه المجهودات أجيالاً متعاقبة من الموظفين المدنيين والعسكريين شاركوا بحماسة وتفانٍ في هذه(اللعبة الكبرى) كما أطلق عليها الكتاب والسياسيون، حيث ترتفع قيمة الرهان إلى أقصى ما يملكه الخصمان. رهان حدده السياسي البريطاني اللورد(جورج كرزن) بالشكل التالي:"تركستان، أفغانستان، شرق قزوين(كوردستان)، بلاد فارس، إنها أسماء لا توحي للكثيرين إلا بشيء بعيد، أما عندي وأنا اقر بهذا فهي قطع فوق رقعة شطرنج تجري فوقها لعبة السيطرة على العالم"(٣). وأما الملكة فكتوريا فقد وصفت اللعبة بوضوح كاف ومختصر إذ قالت:"إنها مسألة السيادة الروسية أم البريطانية في العالم"(٤).

إلا أن السياسية البريطانية تجاه الشرق الأوسط - وهي المحافظة على الوضع الراهن- قد تغيرت جذرياً في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،

(١) المصدر نفسه، ص٩٢- ٩٣.

(٢) كارلتون هيز، التاريخ الاوربي الحديث ١٧٨٩- ١٩١٤،ترجمة: فاضل حسين، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٠٨.

(٣) جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً حتى العام ١٩٧٠ تاريخاً وتحليلاً: أضواء على القضية الآشورية(مذابح أب ١٩٣٣)، ج١(محاض عسير)، اربيل، ٢٠٠٤، ص٢١٤" جرجيس فتح الله، يقظة الكرد...،ص٩٣.

(٤) جرجيس فتح الله، نظرات...،ص٢١٤.

وأخذت تتقارب وتتصافح مع فرنسا التي كانت في صراع مستمر معها في أوربا اغلب أوقات القرن التاسع عشر. والأكثر من هذا انتهت بريطانيا إلى التحالف مع روسيا أيضاً بحلول سنة ١٩٠٧ نتيجة للجهود الفرنسية المستمرة في هذا الجانب. والذي كان من نتيجته بعد ذلك أن وافقت الدول الثلاث المار ذكرها، أي:(بريطانيا وفرنسا وروسيا) على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فانتهت مفاوضاتهما بالتوقيع على اتفاقية(سايكس-بيكو-سازانوف) سنة ١٩١٦(١). وكان الدافع الأول والأكبر في تغيير هذه الإستراتيجية البريطانية بخصوص الشرق الأوسط هو ظهور ألمانيا الاتحادية سنة ١٨٧١ وسلوكها النهج الاستعماري وإنشاؤها سنة(١٨٨٣) الشعبة الاستعمارية في البرلمان الألماني، ومنافستها القوات البريطانية في البحار، وكذلك تقربها-أي ألمانيا- من الدولة العثمانية وتمكنها من الحصول على فتح إنشاء سكة حديد بغداد- برلين سنة ١٩٠٣. وإذا كانت بريطانيا هي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، أخذت ألمانيا تطلق شعارها الاستعماري الجديد(مكاناً تحت الشمس) مما وَلَّدَ مخاوف جمة لدى بريطانيا وكانت الدافع وراء تغير هذه السياسة التي انعكست آثارها بشكل واضح بعد الحرب العالمية الأولى(٢).

وفي التاريخ الكوردي الحديث وبعد معرفة وفهم الخطوط العامة للسياسة الدولية آنذاك يظهر بشكل واضح مبعث أفعال وأعمال هذه الدول الكبرى تجاه

(١) للتفاصيل عن هذه الاتفاقية وما جاء فيها بخصوص كوردستان، ينظر: سروه اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٤- ١٩٢٦: دراسة تاريخية سياسية وثائقية، اربيل، ٢٠٠١، ص٦٧- ٧٤.

(٢) للتفاصيل عن السياسة الاستعمارية الألمانية آنذاك وخط بغداد برلين ١٩٠٣، ينظر: پيير رونوڤن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: نور الدين حاطوم، ط٢، بيروت، ١٩٨٠،ص٨- ١٣" هـ.أ.ل.فيشر،المصدر السابق، ص٣٨٦- ٣٨٧" ساطع الحصري، المصدر السابق، ص١٦.

الكورد وخاصة في القرن التاسع عشر وحتى بدء الحرب العالمية الأولى.

فبخصوص بريطانيا فقد بدأت بالتدخل في شؤون الدولة العثمانية وإيران ووصل رجالاتها إلى اغلب مناطق كوردستان، منهم على سبيل المثال(كلوديوس جيمس ريج) الذي كان يقوم بأعمال مقيم شركة الهند الشرقية في بغداد، قام بزيارة إلى كوردستان وتجول في مناطق إمارة بابان سنة١٩٢٠. وكذلك(فرايزر) الذي قام بين سنتي١٨٢١-١٨٢٢ بدراسة مناطق إيران الكوردية. وقد قام قنصل بريطانيا في ارضروم (برانت) برحلة طويلة عام ١٨٣٣ خلال المناطق الكوردية شرقي الدولة العثمانية وغربي إيران لغرض جمع المعلومات عن التجارة المحلية ودرس إمكانات بيع البضائع الانكليزيه. فضلاً عن مئات البعثات والرحلات الأخرى(١). وكذا الحال بالنسبة إلى روسيا التي حاولت التقرب من الكورد وحدث أول اتصال بين الطرفين سنة ١٨٠٤(٢).

وفيما يتعلق بسياسة بريطانيا وروسيا اللتين كانتا أقوى نفوذاً من غيرهما في المنطقة، فقد كانت آثارها سلبية تجاه الكورد وأصبحت حركة التحرر الكوردية في كثير من المرات ضحية هذه السياسة، وعلى طول تاريخها تجاه الكورد خلال القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى لم يحاولا دعم الكورد أو في مرات عدة عدم دعم أعدائهم.

فمثلاً كانت هذه الدول الكبرى وعلى رأسها دائماً(بريطانيا وروسيا) من أهم الأسباب التي دفعت بالدولة العثمانية إلى فرض المركزية في كوردستان ومن ثم إنهاء حكم الإمارات الكوردية فيها بحلول سنة ١٨٥١.وفي حركة يزدان شير التي اندلعت في منطقة الجزيرة وأملاك الإمارة البوتانية سنة١٨٥٥ كان للعامل الدولي

(١) ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص٢٧- ٤٠.

(٢) للمزيد عن تغلغل الدول الاستعمارية في كوردستان، ينظر: المصدر نفسه، ص٤١- ٤٨" كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص١٩- ٧٩.

اكبر الأثر في إنهاءها وبالتالي فشل هذه الحركة ووأدها، إذ لم يستجب قائد الروس في منطقة قفقاسيا أثناء حرب القرم للرسائل المتكررة ليزدان شير في ضرورة توحيد قوتهما ضد قوات الدولة العثمانية والمتحالفة معها، ثم أن اسر يزدان شير تمت بمساعدة بريطانية عندما اسر غدراً بمكيدة من قبل نمرود رسام الموظف في القنصلية البريطانية في الموصل سنة١٨٥٥ ومن ثم سلم إلى الدولة العثمانية(١).

كما كان للعامل الدولي وصراع القوى العظمى اثر كبير في انهيار حركة الشيخ عبيد الله النهري ١٨٨٠ في كوردستان إيران وعلى حدود الدولة العثمانية الشرقية- كوردستان تركيا الحالية- بل كادت حركة الشيخ عبيد الله النهري أن تحدث أزمة دولية بين روسيا وبريطانيا، فقد عدت روسيا بأن هجوم القوات الكوردية على كوردستان إيران بأنه من تخطيط بريطاني-عثماني من اجل زعزعة الأوضاع داخل إيران التي كانت آنذاك على صلة وثيقة بروسيا. أما بريطانيا فكانت تشك في كون الحركة من تخطيط عثماني للتخلص من الالتزامات التي فرضتها عليها القوى الأوربية في اتفاقية برلين ١٨٧٨(٢)، خاصة الفقرات المتعلقة بالإصلاحات الارمنية وكانت بريطانيا قلقة من قيام الروس باستغلال حركة الشيخ عبيد الله النهري لزيادة نفوذها داخل إيران وحتى الانضمام إلى إيران في صد الهجوم الكوردي واستغلال الروس الفوضى في المناطق الحدودية لضم أراضي عثمانية جديدة في شرق أناضول إلى ممتلكاتها(٣). زيادة على أسباب ومخاوف أخرى عديدة لكلا الطرفين جعلت من حركة الشيخ عبيد الله النهري ضحية

(١) عن حركة يزدان شير، ينظر: محمد أمين زكي بك، المصدر السابق، القسم الثاني، ص٤٤-٤٥؛ عبد الله محمد علي، المصدر السابق، ص٦٥- ٧٣.

(٢) للمزيد عن هذه الاتفاقية، ينظر: كارلتون هيز، المصدر السابق، ص٤٠٠- ٤٠٥.

(٣) عثمان علي، المصدر السابق، ص٨٧.

لمصالحهما في المنطقة، بل وحتى كانت لأمريكا ومبشريها دور سليي في انهيار هذه الحركة، وكانت من أحدى نتائجها المباشرة إقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفراء بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية(١).

كان من أهم أسباب المشكلة الارمنية والتي وقعت أحداثها في كوردستان الشمالية والتي أثرت سلبياً في الكورد كأمة داخل الدولة العثمانية وخارجها على المستوى الدولي-كما مر- هو تغلغل مصالح الدول الكبرى في الدولة العثمانية وكوردستان إلى ابعد حد بحيث غدت كوردستان ساحة لتصفية الحسابات بين الفرقاء والتي دفع الكورد والأرمن لها ثمناً غالياً.

ومر سابقاً بأن عبد الرحمن بدرخان عندما بيّن أسباب هذه المشكلة في جريدته كوردستان ١٨٩٨- ١٩٠٢، ذكر بأن هناك أربعة أسباب لهذه المشكلة، وهي:

١-السلطان عبد الحميد ومن ورائه فرسان الحميدية من الكورد.

٢-بعض المنظمات الارمنية المتطرفة.

٣-الدول الكبرى وقنصلياتها في الدولة العثمانية.

٤- التبشير المسيحي في كوردستان.

أي أن هناك سببين متعلقين بالدول الكبرى أشعلت هذه المشكلة، وهما السبب الثالث والرابع. وفيما يخص السبب الثالث يذكر عبد الرحمن بدرخان بأن الدول الكبرى والمتمثلة بسفارتها في الدولة العثمانية كانت دائماً تقف إلى جانب

(١) عين السيد بنجامين س.گ أول ممثل دبلوماسي لأمريكا في إيران بعد حركة الشيخ عبيد الله النهري، بعنوان (قائم بالأعمال وقنصل عام، ثم أبدل عنوانه فيما بعد بـ وزير مفوض). ينظر: وديع جويدة، ثورة الشيخ عبيد الله النهري، في: جرجيس فتح الله، مبحثان...،ص٤٨- ٤٩.

الأرمن، بل هي التي نفثت سمومها بين الأرمن والكورد،حيث قال في العدد السابع من جريدته:"بأن الدول الكبرى تقول: عار للأرمن أن يكونوا تحت حكم الكورد لأنههم جهلاء ولا يملكون من الفنون إلا قليلا...ولهذا يريدون إعطاء كوردستان لأرمينيا". ثم يوجه عبد الرحمن إصبع الاتهام بصورة خاصة إلى روسيا في أنها وراء دفع الأرمن إلى استفزاز الكورد والدولة العثمانية والمطالبة بأكثر من حقها وبأنها صاحبة جميع أراضي كوردستان الشمالية، ويقول بهذا الخصوص:"تدرك روسيا بأن الاضطرابات تضعف البلاد ولهذا منعت بكل الحيل بعض الاصلاحات التي أرادت الحكومة تنفيذها-أي الحكومة العثمانية-كما أنها كانت تسلم لحكومتنا الأرمن الذين كانوا يلجأون إلى روسيا.ومهما استبد كانوا يستحسنون ذلك ويقدرونه وكانوا يأمرون قناصلهم في ولاياتنا بتحريض الكورد ضد الأرمن عن طريق الإكرام والهدايا، ومن جهة أخرى كانت تقول للأرمن إنهم مظلومون تحت حكم السلطان ويجب عليهم الالتجاء إلى المذهب الارثودكسي لمساعدتهم ووضعهم تحت حمايته. يجب أن يعلم الأرمن بأن روسيا تبدأ دائما بالمساعدة ريثما تضع يدها على امة أو ولاية ثم تمحوا وتفني بكل وسيلة قومية تلك الامة وشعورها القومي ولا تترك لها أية حرية. أنها لحقيقة واضحة بأن روسيا لا تريد أبداً وجود حكومة ارمنية مستقلة بجانبها". أي أن الدول الكبرى وعلى رأسها روسيا، التي لامست حدودها كوردستان، أثرت سلباً على واقع ومستقبل الكورد في تأجيج هذا الصراع بين قوميتين عاشتا معاً لقرون طويلة من الزمن وكان تداخلهم وعلاقاتهم الاجتماعية في بعض هذه المناطق قوياً جداً بحيث لا يفرق بين الكوردي والارمني.

والسبب الرابع الذي أجّج هذه المشكلة هو التبشير المدعوم من الدول الكبرى، فقد عنون عبد الرحمن إحدى مقالاته عنهم بـ(أساس النفاق في كوردستان) وأنهم من أحد الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه المشكلة في المنطقة، ويخص عبد الرحمن بدرخان بالذكر المبشرين الفرنسيين في أن لهم تأثيراً كبيراً على المنطقة،

ويقول عن هؤلاء المبشرين في مقاله أعلاه، مثلاً ما يلي:" والنتيجة فأن الأرمن والكورد الذين امتزجوا وعاشوا معاً هذه العصور العديدة قد يقتتلون فيما بينهم فيقدمون بذلك خدمة للمبشرين. أن المبشرين في وطننا يستغلون المواطنين ويحرضونهم للقيام بحركات ضارة... فكلما وقعت اضطرابات سنجد إن المبشرين ومروجي أفكارهم هم المذنبون"(١).

ومن خلال الإطلاع على هذه النصوص والأحداث التي مرت بها كوردستان خلال القرن التاسع عشر يظهر بأن الكورد هم الأكثر ضرراً ومظلومية في النظام الدولي الذي أبتدعته بريطانيا للحفاظ على مصالحها في الهند وحاربته روسيا في الشرق الأوسط وهو مبدأ(الحفاظ على الوضع الراهن) للوقوف بوجه توسع الدول الأوربية في هذه المنطقة. فلم يمر حادث أو حركة كوردية في القرن التاسع عشر فشلت أو انهارت إلا وكان العامل الدولي من أسباب فشلها وانهيارها.

مر سابقاً بأن الخطوط العامة للسياسة الدولية قد تغيرت بخصوص منطقة الشرق الأوسط، بعد أن دخلت ألمانيا في المعترك الاستعماري ونافست كل بريطانيا وروسيا في الدولة العثمانية. وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى تظهر في الأفق وضمّنت ألمانيا جانب الدولة العثمانية، أخذت كل من(بريطانيا وفرنسا وروسيا)تدخل في مفاوضات مباشرة لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية التي انتهوا منها في أيار ١٩١٦ وتم تقسيم كوردستان العثمانية بين روسيا التي أعطى لها معظم أراضي كوردستان الشمالية، وفرنسا التي حصلت بدورها على ولاية الموصل(كوردستان الجنوبية).

ومن المفيد هنا قبل الدخول في تفاصيل الأحداث وحسابات ما بعد الحرب العالمية الأولى بخصوص الكورد وكوردستان، القول بأن الكورد قد دفعوا ثمناً

(١) للإطلاع على هذه النصوص من جريدة كوردستان والمسألة الارمنية فيها، ينظر: هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة...، ص١١٦- ١٢٢.

غالياً في سنوات الحرب العالمية الأولى،وتضررت أراضيهم ودمرت إلى ابعد حد سواء من قبل الجيوش التركية العثمانية أو الجيوش الروسية التي احتلت أثناء الحرب مناطق عدة من كوردستان الشمالية والمناطق الحدودية من كوردستان الجنوبية التي تقع على الحدود الإيرانية. فبخصوص روسيا التي كانت الدولة الوحيدة من الدول العظمى التي دخلت جيوشها كوردستان أثناء الحرب العالمية الأولى، فقد قامت بأربعة هجمات على كوردستان لاقى الكورد فيها الويلات والدمار نتيجة هذه الهجمات،حدث الهجوم الأول في كانون الأول ١٩١٤ على منطقة الاشكرت في كوردستان الشمالية، والهجوم الثاني قام به الروس في تموز ١٩١٥ على مناطق الحدود الشرقية للدولة العثمانية، والهجوم الثالث حدث في ايار١٩١٦ على منطقة رواندوز وذلك لتخفيف الضغط على القوات البريطانية التي حوصرت في جنوب العراق آنذاك، أما الهجوم الرابع والأخير بل والكاسح فحدث في شباط١٩١٧ وبه سقطت(ارضروم وهمدان وكرمنشاه ووان وارزنجان وقصر شرين) ووصلوا بعد ذلك إلى أطراف ديار بكر وموش(١)،إلا إن اندلاع ثورة أكتوبر ١٩١٧ التي أطاحت بالنظام القيصري في روسيا وحولتها إلى دولة شيوعية، أدى إلى انسحاب روسيا من الحرب العالمية الأولى ومن كوردستان. ولمعرفة الدمار الذي لحقته الجيوش الروسية من جهة والجيوش التركية من جهة ثانية على كوردستان بأراضي الكورد وبالسكان المدنيين فقد ذكرت القوات البريطانية ما يلي عند احتلالها منطقة خانقين في جنوب كوردستان بعد انسحاب الروس منها:

"لم نر في أي قسم من ميزوبوتاميا شيئاً يقارن بالبؤس الذي تبدى لنا في

(١) للمزيد عن الهجمات الروسية على كوردستان أثناء الحرب العالمية الأولى، ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص١٣٩- ١٩٦؛ ديڤيد مكدول، المصدر السابق، ص١٧٦-١٨٨.

خانقين. لقد حصد الروس هذا البلد وجمع الأتراك ما تبقى منه بجد ونشاط تاركينه فيما بعد تحت رحمة الجوع والمرض. لقد تم تخطي تدمير الطريق الفارسي إلى تدمير خانقين إذا أمكن ذلك،كما أتلفت القرى من قبل الجيوش المارة بها، روسية كانت أم تركية،كما انتزعت عوارض السقوف واللوازم الخشبية واستعملت كوقود وأكملت ثلوج الشتاء وأمطاره تخريب الجدران الطينية غير المحمية. لقد بقيت الحقول غير محروثة وإذا ما بقي احد المزارعين في البيت، فلأنه كان ضعيفاً إلى حد بعيد بسبب الجوع بحيث لم يكن قادراً على الفرار"(١).

وبهذا يظهر أن القوى العظمى آنذاك كانت أفعالها سلبية دائماً تجاه الكورد وعلى الأصعدة السياسية والعسكرية كافة، وتسنت لها أثناء الحرب العالمية الأولى الاحتكاك بالكورد في أعمق مناطقهم في كوردستان، إلا أنها، وكما تذكر اغلب المصادر والوثائق التاريخية ذلك، دمرت كل ما وجدت في طريقها ولم تقف أبداً هذه القوى العظمى ولو لمرة واحدة بجانب الكورد.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وجدت بريطانيا نفسها سيدة الموقف في جنوب كوردستان(ولاية موصل)، ومرت كوردستان الشمالية بفراغ سياسي، ماعدا بعض الأجزاء الصغيرة منها في أقصى جنوب غربها التي احتلتها فرنسا وألحقتها بالدولة السورية العربية وهي ألان تسمى بـ (كوردستان الغربية أو كوردستان سوريا) ومرت كوردستان الشمالية بهذا الفراغ السياسي بعد انسحاب القوات الروسية منها وتخليها عن حصتها كما نصت عليها(اتفاقية سايكس-بيكو-سازانوف) وبالتالي أعطيت كوردستان الشمالية ومناطق أخرى كانت من حصة روسيا بعد ذلك، أعطيت كمناطق نفوذ لبريطانيا بعد أن كشفت روسيا اتفاقية سايكس –بيكو- سازانوف في تشرين الأول ١٩١٧.

وبناءً على ما مر هناك سؤال يطرح نفسه هو إلى أية مدى تتحمل بريطانيا

(١) نقلاً عن: ديڤيد مكدول، المصدر السابق، ص١٨٦.

مسؤولية فقدان الكورد لدولتهم بعد الحرب العالمية الأولى حتى نهاية مشكل الموصل ١٩٢٥؟

في البداية، وقبل الإجابة على هذا السؤال لابد من ملاحظة أن بريطانيا لم تكن مهتمة بكوردستان بشكل رئيسي على الإطلاق حسبما أشارت إليه اتفاقية سايكس – بيكو، والتي وافقت على إعطاء كوردستان الشمالية لروسيا الطامعة فيها منذ وقت بعيد، على أن تحتل فرنسا ما تسمى بـ(ولاية الموصل) كوردستان الجنوبية -العراق- وذلك لكي تفصلها ما بين مناطق النفوذ الروسي في كوردستان الشمالية وولاية بغداد والبصرة التي نصت الاتفاقية المذكورة على أن تكون من حصة بريطانيا، ولكنها-أي بريطانيا- انجرت إلى التفكير بمصير كوردستان بحكم موقعها الاستراتيجي في بلاد ما بين النهرين وتخلي روسيا عن نصيبها في كوردستان الشمالية(١).

وأدركت بريطانيا بعد هدنة مدروس في تشرين الأول ١٩١٨ بأن ضمان امن وسلامة ولاية بغداد هي مقرونة بالسيطرة على ولاية الموصل، فضلاً عن أسباب أخرى سياسية وعسكرية واقتصادية، وهكذا وبعد مناوشات عدة مع الفرنسيين تمكنت بريطانيا من تعديل اتفاقية سايكس – بيكو بحصولها على ولاية الموصل مقابل بعض الإمتيازات لفرنسا(٢).

وفيما يخص الكورد فلم يجتمع الساسة البريطانيون على رأي موحد تجاه مستقبل الكورد، وكانت حظوظ الدولة الكوردية متواجدة بين مقترحاتهم بقوة في بداية الأمر (٣)، وتوجتها بريطانيا وفرنسا في معاهدة سيڤر أب ١٩٢٠ التي

(١) المصدر نفسه،ص١٩٦.

(٢) للإطلاع على هذه المناوشات بين بريطانيا وفرنسا، ينظر،مثلاً: المصدر نفسه، ص١٩٧.

(٣) للتفاصيل عن المقترحات البريطانية بخصوص كوردستان، ينظر: سروه اسعد صابر،المصدر السابق، ص٨٣- ١١٤.

نصت ثلاث من موادها هي (٦٢،٦٣،٦٤) على تأسيس دولة كوردية في المناطق الوسطى والغربية من كوردستان تركيا على أن تلحق بها ولاية الموصل بعد إجراء استفتاء بين سكانها بعد مدة قليلة(١).

بدأت حظوظ هذه الدولة الكوردية تقل عند البريطانيين بعد سيڤر مباشرة وذلك نتيجة الانتصارات الكمالية في غرب الأناضول وكوردستان وتمكن الكماليين من فرض سيطرتهم على شمال كوردستان بمساعدة الكورد هناك الذين استغلوا بشعارات الجهاد ضد المحتلين الأجانب وباسم الأخوة التركية الكوردية. المهم هنا أن كوردستان الشمالية خرجت من تحت النفوذ البريطاني. أما لماذا لم تقم بريطانيا برد الكماليين عن كوردستان الشمالية، وتحاول تطبيق ما جاء في سيڤر بشأن الكورد؟ وذلك راجع إلى عدة أسباب:

١-كانت بريطانيا غير مستعدة تماماً للدخول في حرب ضد الكماليين لا تعرف نتيجتها وليس لديها أية مصلحة في ذلك، خاصة إذا ما علمنا بأن بريطانيا كانت قد سحبت جيوشها، ولم تكن قد أفاقت تماماً من آثار الحرب العالمية الأولى عليها التي خرجت لتوها منها. ثم أنها لم تستطع مساعدة اليونانيين في غرب الأناضول وعلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط الذين تم تهجيرهم من ديارهم التي كانت لهم منذ أيام سقراط وقتل العديد منهم(٢)، مع العلم بأن بريطانيا

(١) للمزيد عن ما ورد بخصوص الكورد في اتفاقية سيڤر، ينظر: بلەج شيركو، المصدر السابق، ص٨٣- ٩٠؛ م. رەسول هاوار، كورد وباكورى كوردستان لە دواى شەرى يەكەمى جيهانەوە هەتا دواى شورشى شێخ سەعيد لە پيران، بەرگى دووەم، سليمانى، ٢٠٠٢،ل١٠٨- ١٥٧.

(٢) عن حرب التحرير الوطنية التركية ودور الكورد فيها والحرب ضد اليونان، ينظر: إبراهيم الداقوقي، أكراد تركيا، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٤٨- ١٨٤؛ بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص٢١- ٥٥.

كانت تنظر بعين الاحترام لها وكانت الحليفة الدائمة لها منذ استقلالها سنة ١٨٣٠. فلماذا تساعد هناك الكورد الذين لم يساعدوا هم أنفسهم؟!

٢- كان الضغط العام البريطاني على حكومته مستمراً لتقليص النفقات الحربية من الأسباب التي أجبرت بريطانيا على عدم الدخول في حرب جديدة ضد الأتراك(١).

وبقيت كوردستان الجنوبية (ولاية الموصل) التي أصبحت، بعد ذلك مثار اخذ وجذب بين بريطانيا من جهة وتركيا الكمالية من جهة أخرى، فضلاً عن العرب الذين دخلوا في هذا الصراع المدعومين من بريطانيا للظفر بهذه الولاية التي لم تحلها معاهدة لوزان تموز ١٩٢٣بين بريطانيا وتركيا والتي نسخت معاهدة سيفر،حتى تم تحويل الأمر إلى عصبة الأمم التي أقرت بدمجها بالعراق العربي سنة ١٩٢٥ ومن هنا قسمت كوردستان بين خمس دول أخذت فيما بعد تتعاون جدياً في القضاء على حركات هذه الأمة.

أما لماذا نبذت بريطانيا فكرة إنشاء دولة كوردية في ولاية الموصل؟ جوابه إن السبب الرئيسي في ذلك هو اعتبار الكورد عنصراً ضرورياً لتأمين سيطرتهم على العراق الحيوي لمشاريع سيطرتهم على الشرق الأوسط، فضلاً عن أسباب اقتصادية وكذلك ضغط الملك فيصل الأول الذي أبدى من خشيته مرات عديدة من الشيعة وان إدماج الكورد بالعراق سيخلق حالة من التوازن بين الشيعة والسنة(٢)، زيادة على ذلك كانت الإمبراطورية البريطانية آنذاك وفي محاولتها السيطرة على الشرق الأوسط بواسطة العراق الجديد تحاول التعاون مع إيران وتركيا الدولتين الفتيتين المعارضتان بشدة تأسيس دولة كوردية(٣).

(١) جرجيس فتح الله، يقظة الكرد...، ص٢٢٢.

(٢) روبرت اولسن، المصدر السابق، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠.

وبهذا تلاشت الآمال الكوردية في التمتع كباقي القوميات بدولة خاصة بهم، وتتحمل بريطانيا المسؤولية الأكبر في ذلك،كما يتحمل الكورد أنفسهم جزءاً كبيراً من هذه المسؤولية ولا يجب إلقاء اللوم كله على بريطانيا التي تتصرف على الآنية والمستقبلية وفق مصالحها ومن ثم فهي ليست مجبرة على فعل أي شيء إذا تعارض مع مصالحها حتى وان كانت ضد الحقوق والأخلاق الدولية.

ومر سابقاً بأن بريطانيا لم تكن لها سياسة واضحة المعالم بشأن كوردستان بل إنها انجرت إليها، ثم إن إخفاق الكورد في تقديم زعيم قوي متفق عليه ولو في كوردستان الجنوبية لربما إن حصل هذا الأمر كان قد غير وجه تاريخ المنطقة وفعلاً بحثت بريطانيا في اواخر١٩١٩ وبداية١٩٢٠ عن مثل هذا القائد ولم تجده أو لم يفرضه الكورد على بريطانيا(١).وعادة سياسة التوازن الدولي مرة أخرى لتطبق على الوضع في أوربا والشرق الأوسط من جديد(٢).

(١) يقول جرجيس فتح الله في عدم توحد الكورد حول الشيخ محمود البرزنجي في كوردستان الجنوبية، مثلاً، ويستشهد بتقرير نوئيل حول هذا الأمر، ما يلي:" اذا ما شاعت النية- أي لدى بريطانيا- في تعيين الشيخ محمود (والياً) على جنوب كوردستان حتى أعلن الآخرون معارضتهم فـ وجهاء كركوك شعروا بأن طريق التقدم هو باتجاه بغداد لا باتجاه السليمانية، فضلاً عن عدم وجود مشاعر قومية في كركوك والسلطة البريطانية موضع رضا كبير هناك...". ينظر: يقظة الكرد...، ص٢٢٩- ٢٣٠.

(٢) بلهج شيركو، المصدر السابق،ص٨٨. من الجدير بالذكر هنا أن هناك تفاصيل كثيرة ومتشابكة عن دور بريطانيا في القضية الكوردية بعد الحرب العالمية الأولى حتى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٨- ١٩٢٥، لم نرد الدخول في تفاصيلها وتكرارها مجدداً، ومن هؤلاء المؤلفين الذين تحدثوا بإسهاب عن هذه القضية، مثلاً: ديڤيد مكدول، جرجيس فتح الله وعثمان علي وآخرون.

الخاتمـــــــة

أولاً: (ليس للإنسان إلا ما سعى) (١) آية قرآنية كريمة، اقتبسها كلٌ من مقداد مدحت بدرخان وعبد الرحمن بدرخان لتكون عنواناً لإحدى مقالاتهما التي نشرتها جريدة كوردستان في عدديها الرابع والسابع(٢) على التوالي، وفيها يقول مقداد مدحت للكورد، بأنه تقع على عاتقكم مسؤولية بناء المدارس وتعليم العلوم، وعليكم بالجد والمثابرة في ذلك، ويجب أن تنبعث هذه الأعمال أولاً منكم، وذلك لتستطيعوا العيش في وطنكم كوردستان بسلام ولا تنتظروا المساعدة من أحد(٣). أما عبد الرحمن بدرخان فقد ذكر للكورد انتم أنفسكم مطلوبون لتحسين وضعكم وتقدم بلادكم، لا لشيء سوى لأن كوردستان هو أرضكم وموطنكم لآلاف السنين وان مهمة الاهتمام به تقع على عاتقكم بالدرجة الأولى. ويقول:"على قدر عمل المرء يرى النتيجة"ويأتي عبد الرحمن بمثال الروس في أنهم قبل مائة عام كانوا والكورد على نفس درجة التقدم، الآن أين هم؟ وماذا بلغوا؟ وكيف هم ألان الكورد وكوردستان مع العلم إنهم جاران.ثم يتناول عبد الرحمن قضية التعليم في كوردستان وعلى الكورد الضغط على السلطان عبد الحميد الثاني كما فعل الألبان بخصوص هذا الجانب، لتطوير التعليم وللقضاء على ألامية المتفشية آنذاك بين الشعب الكوردي(٤).

لقد امتلأت صدر صفحات الصحافة الكوردية الأولى حتى ما بعد نهاية

(١) جزء من الآية (٣٩)، سورة النجم.

(٢) صدر العدد الرابع من جريدة كوردستان في القاهرة بتاريخ ٣ حزيران ١٨٩٨، أما العدد السابع منها فقد صدر في مدينة جنيف وقد حمل تاريخ ٥ تشرين الثاني ١٨٩٨.

(٣)جريدة كوردستان، العدد (٤)، ٣ حزيران ١٨٩٨.

(٤) جريدة كوردستان، العدد (٧)، ٥ تشرين الثاني ١٨٩٨.

مشكلة الموصل بهذه الكلمات والتي توجب على الكورد أنفسهم وتحضهم كأمة أن تقود مصيرها بنفسها وليس الاعتماد على الغير والإتكالية على الجانب الآخر الأجنبي الذي لم يأت سوى بالويلات للكورد وأرضهم كوردستان. وعلى الكورد كأمة أن لا تلقي باللوم على هذا الطرف أو ذاك في أنهم لم يؤسسوا لها دولة أو كانوا عقبة في طريقها، وعليهم البدء أولاً بأنفسهم ومعرفة نقاط الضعف في تاريخهم ثم يأتي الدور على هذا الطرف أو ذاك لكي يوضع الأشياء في أماكنها ومواضعها التاريخية ولمعرفة الحقيقة التاريخية والاستفادة منه في المستقبل.

ثانياً: كان للإعلام دور كبير في التأثير على المستقبل السياسي للكورد سلبياً، فقد شوهت صورة الكورد على طول قرن تقريباً،ولم يدرك الكورد ذلك إلا في وقت متأخر.

وعلى الكورد التركيز على هذا الجانب فللإعلام تأثير كبير في مجمل الحياة الحاضرة،وقديماً قالوا إن الصحافة هي السلطة الرابعة بجانب السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية.واستمرت هذه الدعاية طويلاً ضد الكورد، فمثلاً بعد القضاء على حركة الشيخ سعيد پيران ١٩٢٥ وعند محاولة (توپني) المؤرخ الانگليزى الشهير تقييم هذه الحركة وتقديم الدافع القومي أو الديني غلبت عليه الحيرة وبعض التردد وذلك لان الصعوبة كانت تكمن في أن مصادر المعلومات عن الحركة كاد كلها يكون تركياً(١). وهكذا فكل المعلومات عن الكورد وكوردستان كانت مؤرخة ومدونة بأيدي أعداء الكورد ولم يكن للكورد ردٌّ عليها، وحتى إن وجد هذا الرد فقد كان مقتصراً على فئة قليلة جداً منهم.

ثالثاً: كانت القوى العظمى آنذاك تمارس دوراً سلبياً تجاه الحركات الكوردية، كما لم يكن للكورد طيلة القرن التاسع عشر وحتى نهاية مشكلة الموصل، أي صديق على المستوى الدولي، فكانت لأغلب شعوب الدولة العثمانية وطوائفها

(١) ينظر: جرجيس فتح الله، يقظة الكرد...،ص١٣١.

المختلفة أصدقاء على المستوى الدولي وان كانت هذه الصداقات ذات مصالح في المنطقة، فمثلاً تقرب الانگليز إلى العرب واليونانيين، وفرنسا إلى الطوائف الكاثوليكية في الدولة العثمانية، وروسيا إلى الأرمن وقوميات البلقان، خلافاً للكورد الذين يصدق في حقهم وأمرهم القول المشهور:"إنهم لا أصدقاء لهم سوى الجبال".

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– لمذكرات الشخصية:

- زنار سلوبي(قدري جميل باشا)، مسالة كردستان: ٦٠ عاماً من النضال المسلح للشعب الكردي ضد العبودية، تنقيح وتقديم: عز الدين مصطفى رسول، ط٢، بيروت، ١٩٩٧.

ثانياً– الرسائل الجامعية:

١– باللغة العربية:

- عبد الله محمد علي، كردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين- اربيل، ١٩٩٨.

- سعدي عثمان حسين، كوردستان والإمبراطورية العثمانية: دراسة في تطورها السياسي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين- اربيل، ١٩٩٥.

٢– باللغة الكوردية:

- نعمەت شەهاب حاجی، كوردستانی روژهەلات له سەردەمی فەرمانرەوایی زەندییەكان: لێكولینەوەیەكی مێژویی سیاسی وئابوری (١٧٥١- ١٧٩٤)، نامەیەكی ماستەرە، بێشكەشە بو بەشێ مێژوو، كولیژی ئاداب، زانكوی سەلاحەددین- هەولێر، ٢٠٠٦.

ثالثاً– الكتب:

١–العربية والمترجمة:

- د.إبراهيم الداقوقي، أكراد تركيا، بيروت، ٢٠٠٣.

- إبراهيم محمود، صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج، بيروت، ١٩٩٢.

- اريك هوبسباوم، الأمم والنزعة القومية، ترجمة: عدنان حسن،مراجعة وتحرير: مجيد الراضي، سوريا، ١٩٩٩.

- إسماعيل بيشيكجي، كردستان مستعمرة دولية، ترجمة: زهير عبد الملك، سويد، ١٩٩٨.

- ايرنست غيلنر، الأمم والقومية، ترجمة: د.مجيد الراضي، سوريا، ١٩٩٩.

- باسيل نيكتين، الكُرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: د.نوري طالباني، ط٣، اربيل،٢٠٠٤.

- برهان ابا بكر ياسين، كوردستان في سياسة القوى العظمى ١٩٤١- ١٩٤٧، ترجمة: هوراس،دهوك، ٢٠٠٢.

- د.بلهج شيركو،القضية الكردية: ماضي الكرد وحاضرهم، بيروت، ١٩٨٦.

- بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وأثرها في كوردستان ١٩٢٣- ١٩٢٦، دهوك، ٢٠٠٤.

- پى رەش، بارزان وحركة الوعي القومي الكردي ١٨٢٦- ١٩١٤، باريس، ١٩٨٠.

- پيير رونوڤن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: د. نور الدين حاطوم، ط٢،

بيروت، ١٩٨٠.

- تورد ڤالستروم، ليس لنا من أصدقاء غير الجبال، ترجمة: عبد السلام نعمان،دهوك ١٩٩٨.

- جاناثان راندل،كردستان امة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها، ترجمة: فادي حمود، بيروت، ١٩٩٧.

- جرجيس فتح الله، يقظة الكرد: تاريخ سياسي ١٩٠٠- ١٩٢٥ ومما يتناول النزاع على جنوب كردستان أمام عصبة الامم مع الوثائق والمذكرات المتعلقة به، اربيل، ٢٠٠٢.

- .....، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيد الله النهري، ط٢، اربيل، ٢٠٠١.

-.....، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً حتى العام ١٩٧٠ تاريخاً وتحليلاً: أضواء على القضية الآشورية (مذابح أب ١٩٣٣)، ج١(محاض عسير)، اربيل، ٢٠٠٤.

- جليلي جليل، من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، دمشق، ١٩٨٧.

- جليلي جليل، م.س.لازاريف وآخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: د.عبدي حاجي، بيروت، ١٩٩٢.

- جمال نەبەز، الأمير الكردي مير محمد الرواندوزي الملقب بـ(ميرى كوره)، ترجمة: فخري سلاحشور، ط٢، اربيل، ٢٠٠٣.

- جورج لينشوفسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة: جعفر الخياط، ج١، بغداد، ١٩٦٤.

- د.خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوربي: دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، بيروت، ١٩٨١.

- د. خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء إلى الانحدار، ترجمة:د. محمد.م. الارناؤوط، بيروت،٢٠٠٢.

- دبليو. أى. ويگرام وادگار. تى. أى ويگرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط٣، اربيل، ٢٠٠.

- ديڤيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، ٢٠٠٤.

- راشد طباره، الانتداب وروح السياسة الانگليزيه، بيروت، ١٩٢٥.

- روبرت اولسن، المسألة الكردية في العلاقات التركية الإيرانية، ترجمة وتقديم:محمد إحسان رمضان، اربيل، ٢٠٠١.

- روهات الاكوم، خويبون وشورة اگرى، مراجعة: شكور مصطفى، اربيل، ٢٠٠٠.

- ساطع الحصري، ما هي القومية: أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، ط٢، ١٩٨٥.

- سروه اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٤- ١٩٢٦: دراسة تاريخية سياسية وثائقية، اربيل، ٢٠٠١.

- أ.د.سعد ناجي جواد، دراسات في المسألة القومية الكوردية، بيروت، ٢٠٠٥.

- صلاح سعد الله، المسألة القومية في العراق، دهوك، ٢٠٠٢.

- د.صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية: نشاطها السياسي والثقافي ١٩٠٠- ١٩٥٠، دهوك.

-.....، إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان ١٨٢١- ١٨٤٧: دراسة تاريخية سياسية، اربيل، ٢٠٠٠.

-د.عبد الرحمن قاسلو، كردستان والأكراد: دراسة سياسية واقتصادية، بيروت، ١٩٧٠.

- د.عثمان علي، دراسات في الحركة الكوردية ١٨٣٣- ١٩٤٦، تقديم: أ.د.محمد هماوندي، اربيل،٢٠٠٣.

- د.عزالدين مصطفى رسول، احمدى خانى ١٦٥٠- ١٧٠٧: شاعراً ومفكراً فيلسوفاً ومتصوفاً، بغداد، ١٩٧٩.

- فرانجويس جاتيلت واوليڤر دوهامل، تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة: د.خليل احمد خليل، بيروت، ١٩٨٤.

- ڤ. ف مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات: الأكراد أحفاد الميديين، ترجمة: د.معروف خەزنەدار، بيروت، ١٩٨٧.

- كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩- ١٩١٤،ترجمة:د. فاضل حسين، بغداد، ١٩٨٧.

- د.كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط٢، بغداد، ١٩٨٤.

- د.گونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين الأيوبي الكورد الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر، ترجمة: عبد السلام بروارى، ط٢، دهوك، ٢٠٠٠.

- ماليسانژ، بدرخانيو جزيرة بوتان: ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ترجمة: شكور مصطفى، اربيل، ١٩٩٨.

- م.أ.هسرتيان،كردستان تركيا بين الحربين، ترجمة: د.سعد الدين ملا وباقى نازي، بيروت، ١٩٨٧.

- محمد أمين زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة: محمد علي عوني، تقديم: أ.د.كمال مظهر احمد، القسمين الأول والثاني، ط٢، بغداد، ٢٠٠٥.

- محمد ملا احمد، جمعية خويبون والعلاقات الكردية – الارمنية، اربيل، ٢٠٠٠.

- مسعود البارزاني،البارزاني والحركة التحررية الكردية، ج١،ط٢، بيروت، ١٩٩٧.

- م.س.لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١- ١٩١٧، ترجمة: اكبر احمد، السليمانية، ٢٠٠١.

- د.موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الإسلامية،ط٩، بيروت، ١٩٩٩.

- ميجر سون (ميرزا غلام حسين شيرازي)، رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكوردستان، ترجمة: فؤاد جميل، الجزء الأول: من اسطنبول إلى السليمانية، بغداد، ١٩٧٠.

- مير بصري، أعلام الكرد، لندن- قبرص، ١٩٩١.

- د.ن.أ.خالفين، الصراع على كوردستان: المسألة الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: د.احمد عثمان أبو بكر، بغداد، ١٩٦٩.

- هارفي موريس وجون بلوج، لا أصدقاء سوى الجبال، ترجمة: راج أل محمد، مراجعة وتقديم: هادي العلوي، دمشق، ١٩٩٦.

- هـ.أ.ل. فيشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩- ١٩٥٠)، ترجمة: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط٦، مصر، ١٩٧٢.

- هوگر طاهر توفيق، دور الصحافة الكوردية في تطوير الوعي القومي الكوردي ١٨٩٨- ١٩١٨، دهوك، ٢٠٠٤.

-.....، الالفباء الكوردية بالحروف العربية والحروف اللاتينية: نشوؤها وتطورها ١٨٩٨- ١٩٣٢، دهوك، ٢٠٠٥.

- ول وايريل ديورانت، عصر نابليون: تاريخ الحضارة الأوربية من ١٧٨٩- ١٨١٥، ترجمة: د.عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الكتاب الأول حتى الرابع، بيروت، ٢٠٠٢.

- ي.غ.فيخته، خطابات إلى الأمة الألمانية، ترجمة: د.سامي الجندي، بيروت، ١٩٧٩.

- يوسف ملك، كردستان أو بلاد الأكراد، مراجعة ومقدمة: د.عز الدين مصطفى رسول، ط٢، السليمانية، ٢٠٠٦.

٢- الكتب الكوردية:

أ- بالحروف العربية:

- روژی کورد: گوڤاری چڤاتی هێڤی یی قوتابیانی کورد ١٩١٣- ئەستەموول، ئاماده‌کردن ولێکولێنه‌وه‌ی: عەبدوللاّ زەنگەنە، پێشه‌کی: ئیسماعیل شوکر، سلێمانی، ٢٠٠٥.

- روّهات ئەلاکوم، کورده‌کانی ئەستەمبوولێ کوّن، وەرگێرانی: احمد تاقانە، هەولێر، ٢٠٠٥.

- د.فەرهاد پیربال، مەلا مەحمودی بایەزیدی ١٧٩٩- ١٨٦٧: یەکەمین چێروکنووس وبەخشاننووسی کورد، هەولێر، ٢٠٠٠.

- .....، سەرچاوەکانی کورد ناسی، سلیمانی، ۱۹۹۸.

- کارل مای، پێنج چیروکێت بەری سەد ساڵا ل سەر کوردستانێ، وەرگێران: حەجی جەعفەر، دهوك، ۲۰۰٦.

-کوردستان یەکەمین رۆژنامەی کوردی ۱۸۹۸- ۱۹۰۲، کۆکردنەوە وپێشەکی: د.کەمال فوئاد، بغداد، ۱۹۷۲.

- کوردستان یەکەمین رۆژنامەی کوردی: دەورەی سێیەم ۱۹۱۷- ۱۹۱۸، کۆکردنەوە وپێشەکی: د.کەمال فوئاد، سلێمانی، ۱۹۹۸.

-د.کمال مەزهەر ئەحمەد، تێگەیشتنی راستی: شوێنێ لە روژنامەنوسی کوردیدا، بغداد، ۱۹۷۸.

- م.رەسوڵ هاوار، کورد وباکوری کوردستان لە دوای شەری یەکەمی جیهانەوە هەتا دوای شورشی شێخ سەعید لە پیران، بەرگی دووەم، سلیمانی، ۲۰۰۲.

- مەلا مەحمودیّ بایەزیدی، عادات ورسوماتنامەئی ئەکرادیە، رشید فندی ڤەگوهاستیە سەر ری نڤیسا نوی وفەرهەنگوك وفەروزییّت بۆ داناین ووەرگێرایە سەر زمانیّ عەربی، دهوك، ۲۰۰٦.

ب- بالحروف اللاتينية:

Malmîsanij, MahmÜd Lewendî, Li Kurdistana Bakur Ü Li Tirkiyê Rojnamegeriya Kurdî ۱۹۰۸ - ۱۹۹۲ , Ankara, ۱۹۹۲

رابعاً- البحوث والمقالات:

١-باللغة العربية:

- سيامند ز. عثمان، ملاحظات تاريخية حول نشأة الحركة القومية الكوردية، مجلة دراسات كوردية، العدد(١)، باريس، كانون الثاني ١٩٨٤.

- هەوراز سوار علي، نبذة تاريخية عن النشاط التبشيري في مدينة الموصل: أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، مجلة دهوك، العدد(١٩)، كانون الأول ٢٠٠٢.

٢- باللغة الكوردية:

- کوردێکی یکرەنك، دیاری ژمارەی، گوڤاری روژنامەڤانی، هەولێر، ژمارە(٩)،هاوینی ٢٠٠٢.

خامساً-الموسوعات والمعاجم:

-جيفري روبرتس واليستر ادواردز، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجليبي، بيروت، ١٩٩٩.

- عبد الوهاب الكيالي، ماجد نعمة وآخرون، موسوعة السياسة، ج١، بيروت، ١٩٩٠.